وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قطب شتمة–

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنـــــــوان المذكـــــرة:

بورقيبة ودوره في الحزب الدستوري التونسي الجديد

(1956-1934)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المعاصر

إعداد الطالبة:

أمال واعر

إشراف الأستاذ:

ميلود طيبي

السنة الجامعية:

2014م 2015م

شكر وعرفان

الشكر أولا لله عز و جل الذي منحني الصبر لأتم هذا البحث ، و إلى أستاذي المشرف طبي ميلود الذي لم يبخل عليا بالنصيحة و التوجيه.

كما اشكر زملائي في – قسم التاريخ – و إلى كل من ساعدني لإتمام هذا البحث.

الشكر الموصول إلى أساتذة قسم العلوم الإنسانية على الجهد الذي يبذلوه .

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين

و إلى إخوتي و أخواتي

و بالأخص إلى خالتي التي وقفت إلى جانبي

إلى صديقاتي راضية والرميصاء .

وإلى كل صديقاتي في قسم التاريخ

واعر أمال

قائمة المختصرات

د. ن: دون ناشر

د.ت: دون تاريخ

ج : جزء

تر: ترجمة

تع: تعريب

تق: تقديم

ط : طبعة

قائمة المحتويات

الموضوع **الصفحة**

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

قائمة المحتويات..... 1-2

المقدمة ..... أ -ز

الفصل الأول : الحماية الفرنسية على تونس و مظاهر المقاومة 12-39

المبحث الأول: فرض الحماية الفرنسية على تونس..... 14-17

المبحث الثاني: المقاومة المسلحة و أسباب فشلها..... 17-23

المبحث الثالث : حركة الشباب التونسي(1907-1912) 23-30

المبحث الرابع: الحزب الحر الدستوري التونسي (1920-1934).....30-38

خلاصة الفصل 39

الفصل الثاني: التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة 40-62

المبحث الأول : مولده و نشأته..... 42

المبحث الثاني: تعليمه..... 43-46

المبحث الثالث:حكمه..... 46-56

المبحث الرابع: آثاره الفكرية 56-58

المبحث الخامس: وفاته..... 59-61

خلاصة الفصل..... 62

الفصل الثالث: الحبيب بورقيبة وإسهاماته في الحزب الدستوري التونسي الجديد (1934-1956)..... 62-105

المبحث الأول : تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد..... 64-70

المبحث الثاني: نشاط بورقيبة ما بين (1934-1939)..... 71-79

المبحث الثالث: نشاط بورقيبة ما بين (1939-1945)..... 80-85

المبحث الرابع: نشاط بورقيبة ما بين (1945-1954)..... 86-95

المبحث الخامس: بورقيبة و المفاوضات التونسية الفرنسية 96-103

خلاصة الفصل 105

خاتمة..... 106-108

ملاحق..... 109-118

قائمة المصادر و المراجع 119-128

مقدمة

خضعت تونس على غرار البلدان العربية الأخرى إلى سيطرة الاستعمار الفرنسي والذي كان موجودا حتى قبل فرض الحماية الفرنسية سنة (1881)، من خلال الجالية الفرنسية الموجودة بكثرة وسيطرته على المشاريع الكبرى في تونس كمد سكك الحديد.....الخ هذا الوجود الفرنسي الشامل جعلها تفرض على تونس الحماية تحت ضغط القوة العسكرية يوم (12 ماي 1881) رغم أن فرنسا لم تلغ النظام السياسي التونسي والذي جعلته تحت تصرف المقيم العام الفرنسي الذي جرد بايات تونس من سيادتهم على السلطة وبقي الباي يحكم شكليا فقط، ولم يقف الاستعمار عند هذا الحد بل حاول التغلغل والدخول إلى المجتمع التونسي فقد استهدف الإنسان التونسي في هويته وشخصيته الإسلامية، لكن الشعب التونسي كان له بالمرصاد وتصدى لكل أساليب الاستعمار الدنيئة بل إن التونسيين قاوموا الاستعمار منذ دخول أرض بلاده باعتماد الكفاح المسلح بكل ما يملك من قوة إلا أن عدم تكافؤ الإمكانات من عدة وعتاد مما أدى إلى فشل المقاومة في تحقيق آمال الشعب التونسي للتخلص من الاستعمار، ولكن رغم فشل المقاومة المسلحة واصل التونسيون كفاحهم بتغيير أسلوبه اعتمادا على الكفاح السياسي والذي بدأ يظهر منذ سنة (1907) بظهور نخب وطنية كان لها دور كبير في توعية الشعب التونسي، لتبدأ بالظهور بشكل واضح بعد الحرب العالمية الأولى، في شكل أحزاب سياسية لها برامجها و بروز قادة وطنيين أكثر حدة ساهموا في نشر الوعي السياسي للشعب التونسي، ووقفوا في وجه المشاريع الاستعمارية التي حاولت محو الهوية التونسية، ومن بين هذه الأحزاب الحزب الدستوري الحر التونسي الذي ظهر سنة (1920) بقيادة "عبد العزيز الثعالبي" الذي قام بدور كبير في النشاط السياسي التونسي، لكن الاستعمار كعادته استطاع أن يفكك هذا الحزب ليقسم بعد ذلك إلى حزبين سنة (1934) بأن ظهر الحزب الدستوري التونسي الجديد بقيادة "الحبيب بورقيبة" الذي جاء مزودا بأفكار من المدرسة الفرنسية التي استطاعت أن تفتح أفكاره على فلسفة التنوير الفرنسية ومبادئ

الثورة الفرنسية، حيث سنقوم بدراسة هذه الشخصية، وكيف دافع عن قضية وطنه وشعبه من أجل التخلص من الاستعمار الفرنسي، ومخططاته الاستدمارية، رغم العراقيل والصعوبات التي واجهها خلال رئاسته للحزب الدستوري التونسي الجديد وصولا إلى الاستقلال، حيث سنحاول من خلال هذه الدراسة معرفة مدى مساهمة الحبيب بورقيبة بنشاطه ونضاله في الحزب الدستوري التونسي الجديد لاسترجاع تونس استقلالها التام.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

هناك عدة أسباب ذاتية وموضوعية دفعتنا لاختيار الموضوع:

1. الأسباب الذاتية:

- تسليط الضوء على الشخصيات الهامة التي أثرت في الحياة الاجتماعية ومنها شخصية الحبيب بورقيبة .
- الرغبة في دراسة المواضيع التي لها علاقة بالحركة الوطنية خلال الفترة الاستعمارية
- الرغبة في البحث في تاريخ المغرب العربي خاصة في فترة الاستعمار

2. الأسباب الموضوعية:

- محاولة معرفة الاختلاف بين السياسة الاستعمارية في تونس والجزائر بحكم أن البلدين متجاوران وخضعا لنفس الاستعمار
- محاولة معرفة ما هي الأساليب التي اتبعها القادة التونسيون للتخلص من الاستعمار

إشكالية الموضوع:

إن إشكالية الموضوع تتعلق في البحث عن الأسس التي انطق منها الحبيب بورقيبة لمقاومة الاستعمار الفرنسي من خلال نشاطه في الحزب الدستوري الجديد، لاسترجاع تونس استقلالها التام .

ومن هنا نطرح إشكالية الموضوع:

كيف ساهم الحبيب بورقيبة في الحزب الدستوري التونسي الجديد لاسترجاع تونس استقلالها؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي الطبيعة السياسية للاستعمار الفرنسي؟ وما هي ردود الفعل الأولية ؟
- من هو الحبيب بورقيبة؟ و ما هي آثاره؟
- ما هو دوره في الحزب الدستوري التونسي الجديد ؟

أهداف الموضوع:

يهدف هذا العمل إلى معرفة طبيعة التواجد الفرنسي في تونس وما هي ردة فعل التونسيين خاصة في بدايات دخول المستعمر إلى أرضه

ويهدف إلى التعريف بشخصية من شخصيات التاريخ المعاصر لتونس وما هي آثار هذه الشخصية

كذلك بهدف الإلمام بدراسة شخصية من رموز الحركة الوطنية التونسية وكيف ساهمت لاسترجاع تونس استقلالها

المنهج المتبع: و للإجابة عن هذه الإشكالية استخدمنا منهجين عمليين هما:

المنهج التاريخي الوصفي: من خلال تتبع الأحداث التاريخية وترتيبها ترتيبا كرنولوجيا مع وصف تلك الأحداث مرحلة بمرحلة.

المنهج التحليلي: والذي اعتمدته في تحليل بعض المواقف التي صدرت عن الحبيب بورقيبة تحليلا موضوعيا من خلال رئاسته للحزب الدستوري التونسي الجديد ومدى فاعلية هذه المواقف تجاه السياسية الاستعمارية الفرنسية للوصول بتونس إلى الاستقلال دون أي شرط .

خطة البحث :

ولتتبع الدراسة تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة والتي جاءت كالآتي: **الفصل الأول:** تناولنا فيه الحماية الفرنسية على تونس ومظاهر المقاومة وتم تقسيمه إلى أربع مباحث **المبحث الأول:** تناولنا فيه فرض الحماية الفرنسية على تونس، و ما هي الذرائع التي اتخذها الاستعمار لاحتلال تونس، أما المبحث الثاني

المقاومة المسلحة وأسباب فشلها حيث تعرضنا إلى ردود الفعل الأولية تجاه الاستعمار والمتمثلة في المقامة المسلحة وأسباب فشلها وجاء المبحث الثالث بعنوان

حركة الشباب التونسي (1907-1912)حيث عالجنا فيه إرهاصات الحركة الوطنية التونسية اما المبحث الاخير بعنوان الحزب الحر الدستوري التونسي (1920 - 1934)

درسنا فيه نمو الوعي السياسي في تونس مع هذا الحزب و بروز قادة وطنيين استكملوا النضال من أجل إستقلال تونس

الفصل الثاني: التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة وتم تقسيمه إلى خمسة مباحث

المبحث الأول: مولد ونشأة الحبيب بورقيبة تعرضنا إلى مولده والاسرة التي نشأ فيها وأصوله ،اما المبحث الثاني تعليمه حيث تتبعنا مساره الدراسي عبر كل المراحل

المبحث الثالث: حكمه تناولنا مرحلة حكم بورقيبة بعد الاستقلال إلى غاية عزله

المبحث الرابع: آثاره الفكرية تناولنا الكتب التي تركها الحبيب والتي أرخت لفترة نضاله أما **المبحث الخامس:** وفاته تطرقنا إلى الظروف التي توفي فيها الحبيب بورقيبة

الفصل الثالث: الحبيب بورقيبة وإسهاماته في الحزب الدستوري التونسي الجديد (1934-1956) وتم تقسيمه في خمسة مباحث هي :

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد تناولنا فيه الأسباب التي أدت إلى ظهور هذا الحزب، وجاء في **المبحث الثاني** : نشاط بورقيبة ما بين (1934-1939) درسنا فيه نشاط بورقيبة منذ بداية تأسيس الحزب و موقفه من السياسة الاستعمارية بتونس

المبحث الثالث: نشاط بورقيبة ما بين (1939-1945) تناولنا فيه الأحداث التي جرت في تلك الفترة و موقف بورقيبة منها أما **المبحث الرابع:** نشاط بورقيبة ما بين (1945-1954) درسنا فيه نشاط بورقيبة وهو في القاهرة وموقفه من المقاومة المسلحة أما **المبحث الخامس الاخير** : بورقيبة والمفاوضات التونسية الفرنسية تتبعنا فيه الخلافات بين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة إلى تاريخ حصول تونس على استقلالها التام أما الخاتمة فكانت عبارة عن خلاصة لمجمل النتائج المتوصل إليها

أهم المصادر والمراجع:

لقد كانت المصادر والمراجع متنوعة ومتشابهة في بعض الأحيان في المعلومات مما يصعب التعامل معها في استخراج المعلومات منها ونذكر أهمها على الخصوص.

المصادر نذكر أهمها :

بورقيبة سيرة شبه محرمة لمؤلفه الصافي سعيد : وهو كتاب مهم يحمل معلومات دقيقة عن مسيرة الحبيب بورقيبة من مولده إلى غاية وفاته لتونس .والمصدر الثاني الحبيب بورقيبة سيرة زعيم لمؤلفه الطاهر بلخوجة يحتوي الكتاب على معلومات عن بورقيبة خلال مدة رئاسته

المراجع نذكر أهمها :

الحركة الوطنية التونسية (1830-1956) لمؤلفه الطاهر عبد الله حيث تناول الكاتب جميع محطات الحركة الوطنية التونسية من بدايتها إلى غاية الاستقلال سنة 1956

كتاب الحركة الوطنية و دولة الاستقلال لمؤلفه خليفة الشاطر حيث مكننا الكتاب من معرفة بعض الحقائق عن الحبيب بورقيبة ونشاطه داخل الحزب الدستوري التونسي الجديد

بالإضافة إلى المصادر والمراجع اعتمدنا على الأطروحات الجامعية والتي وجدنا فيها معلومات لم أستطع الوصول إليها خاصة المعلومات الخاصة بالحبيب بورقيبة ومن أهمها: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة

(1899-2000) أطروحة دكتوراه لعز الدين مغرة استفدنا منها كثيرا خاصة التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة ومن الأطروحات كذلك

الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري (1934-1954) دراسة مقارنة وهي أطروحة دكتوراه لقدادرة شايب والتي استفدنا منها في معرفة نشاط الحزب الدستوري التونسي الجديد

بالإضافة إلى مراجع أخرى وجرائد ورسائل الجامعية وهي موجودة في قائمة المصادر والمراجع.

أما الصعوبات التي واجهتني فلا يوجد أي بحث يخلو من صعوبات: ومن الصعوبات:

- صعوبة الوصول إلى المصادر التي تتناول الحركة الوطنية التونسية
- صعوبة الوصول إلى المراجع باللغة الأجنبية
- ضيق الوقت .

الفصل الأول: الحماية الفرنسية على تونس ومظاهر مقاومة

يتناول هذا الفصل بداية سقوط تونس تحت الحماية الفرنسية، من خلال الذرائع التي وضعتها لبسط نفوذها على تونس، وقد كانت الأوضاع في ذلك الوقت سانحة بسبب الضعف الذي تعرضت له تونس، خاصة بايات تونس الذين كانوا ضعفاء الشخصية. وقد حاولنا دراسة رد فعل الشعب التونسي من الاستعمار الفرنسي وخاصة في بدايته، لاسترجاع الحرية للشعب والتخلص من الاضطهاد و القهر الذي تعرض له التونسيون من محاولة محو الهوية الوطنية والإسلامية، ورغم فشل هذه المقاومة، إلا أن هناك من واصل الكفاح، من ظهور نخبة من الوطنيين والمثقفين من خريجي المدارس المشرقية الذين ساهموا في نشر الوعي السياسي لدى الشعب التونسي، وذلك في شكل حركات سياسية وأحزاب اتخذت من الاحتجاجات والمظاهرات وسيلة لعملها، وهذا لمجابهة الاستعمار الفرنسي الذي زاد من حدة تسلطه من خلال القوانين والمشاريع والتي وقف في وجهها القادة الوطنيون بكل قوة، والذي كانت ردة فعل الاستعمار عنيفة عليهم من خلال تعرضها للنفي وسجن وحل الأحزاب السياسية.

المبحث الأول: فرض الحماية الفرنسية على تونس

بعد الضعف الذي عرفته تونس في أواخر القرن التاسع عشر بسبب الفساد وضعف الحكومة وهذا راجع لتدخل الدول الأوروبية، اشتد التنافس بين هذه الدول ومن بين هذه الدول بريطانيا وفرنسا وإيطاليا على النفوذ الاقتصادي، خاصة فرنسا بحكم وجودها في الجزائر 1وإيطاليا بحكم قرب أراضيها من تونس، وكان على كل من الدولتين أن تجد التأييد الدولي لتحقيق تلك الأطماع نظرا لأهمية موقع تونس[1] لترجع الكفة بعد مؤتمر برلين (1878) إلى فرنسا[2] حيث شجعت كل من إنجلترا وألمانيا فرنسا على بسط نفوذها على تونس. فإنجلترا تخلت عن تونس لفائدة فرنسا مقابل هيمنتها على قبرص، وقد صرح وزير خارجية إنجلترا اللورد "سالسبوري" لنظيره الفرنسي "واد تفتون" بقوله:« احتلوا تونس أن شئتم فإنجلترا لا تمانع في ذلك بل تحترم قراراتكم » ووجدت فرنسا نفس الدعم من ألمانيا إذ أيد المستشار الألماني "بسمارك" المقترح البريطاني المتعلق بتونس ويهدف من وراء ذلك إلى منح تعويضات لفرنسا لصرف نظرها عن مقاطعتي الألزاس و اللورين التي ضمتها ألمانيا سنة (1870)، وقد أكد بسمارك ذلك في(4 جانفي 1879) في حديث له مع سفير فرنسا ببرلين الكونت "دي سانت فاليي" ذكر فيه:« إني أعتقد بان الإجاصة التونسية قد نضجت وآن لكم أن تقطفوها»[3] ليبقى الموقف الإيطالي العقدة الوحيدة أمام فرنسا التي كان عليها أن تجد لها حلا حتى لا تصل الأمور إلى الحرب، وكذلك عمدت إيطاليا جاهدة مع الإنجليز وغيرهم من البلدان التي لها تأثير على منع الفرنسيين

---

[1] شوقي أبو خليل : **الإسلام و حركات التحرر العربية**، دار الرشيد، مصر، 1976، ص106.

[2] فيصل محمد موسى : **موجز تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، منشورات الجامعة المقترحة، بنغازي، 1997، ص130.

[3] علي المحجوبي : **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، تع عمر بن ضو وآخرون، سراس للنشر، تونس 1986ص35.

على إتمام الخطوة الأخيرة لكن هؤلاء أثاروا عدم التدخل، وسعت إيطاليا إلى تنازل من جانب تونس عن ميناء بنزرت لكن الباي رفض كل هذه التحركات جعلت فرنسا تزيد في سرعتها للسيطرة على تونس بحشد قواتها على الحدود التونسية والتي أرفقتها بضغوط اقتصادية وسياسية على إيطاليا لضمان عدم تدخلها[1].

فمهدت فرنسا لحملتها على تونس بإثارة مشكلة القبائل على الحدود التونسية الجزائرية حيث تذرعت الحكومة الفرنسية على أن هذه القبائل قد خرجت من يد حكومة الباي وأنها تشن غارات باستمرار على القرى الجزائرية القريبة. وقد تكبد الفرنسيون من جراء هجماتها خسائر كبيرة.

كانت فرنسا قد عرضت في سنة (1879) على الباي "محمد الصادق" عن طريق قنصلها "روستان" مسودة لمعاهدة الحماية واقترحت عليه التوقيع بطريقة ودية لكن الباي رفض ذلك مما دفع بـ "روستان" إلى أن يطلب من حكومته إرسال الأسطول باتجاه المياه التونسية وتهديد الباي لعله يقتنع بالعدول عن المعارضة[2].

ولقد بررت الحكومة الفرنسية ضرورة حماية الحدود الجزائرية كي تبرز تدخلها العسكري في تونس، مدعية أن الحدود تتعرض باستمرار لهجمات القبائل التونسية وخاصة قبائل بيني خمير. وآخر حادث سجل هو اغتيال مواطن من أولاد سدرة من قبيلة خمير في شهر فيفري (1881)، عثر عليه صحبة فتاة من قبيلة ناهد الجزائرية كانت على موعد معه في مقاطعة قسنطينة، وكان هذا الحادث مبررا كافيا لتدخل القوات الفرنسية في الايالة. فقد جرت أثره مناوشات بين قبيلتي ناهد وخمير أدت إلى تدخل السلطة الفرنسية بدعوة الحفاظ على الأمن في الحدود ثم آل الأمر إلى

---

[1] عاطف عيد :**موسوعة قصة تاريخ حضارات العربية تونس الجزائر**، إيديتو للنشر، بيروت، 1999، ص65.

[2] محمود علي عامر : **تاريخ المغرب العربي المعاصر**، منشورات جامعة دمشق،سوريا،2006 ، ص127.

المواجهة بين الجيوش الفرنسية والقبائل التونسية يومي(30 و31 مارس 1881) وقد استغل "جول فيري" هذا الوضع فطرح المسالة أمام البرلمان وطلب منه اعتمادات قيمتها 5 ملايين فرنك فرنسي لتنظيم حملة عسكرية لمعاقبة القبائل التونسية القاطنة على الحدود وردعها وصادق أعضاء البرلمان في(7 أبريل1881) دون اعتراض[1].

وفي (24أبريل 1881) إجتاز الجنود الفرنسيون حدود تونس، وإحتلوا ولاية "الكاف" و"طبرقة" بدون مقاومة، كما أنزلت فرنسا بعض قواتها التي أبحرت من ميناء طولون إلى بنزرت، وبعد احتلالهم لها تقدموا صوب العاصمة، وفي (12 ماي) كانوا يعسكرون على مقربة من قصر "باردو"، حيث قدم القنصل العام الفرنسي "روستان" إلى الباي نسخة من المعاهدة طلب منه التوقيع عليها وهي المعاهدة التي وضعها "جول فيري".

إجتمع الباي بمجلس الدولة التونسي ليعرض الأمر عليه، فكانت هناك معارضة من طرف المجلس مطالبين بالمقاومة، ودعوة الشعب للجهاد، فتجاهل الباي المواقف المعارضة بعدما هدده الفرنسيون بالخلع من منصبه وتعيين أخيه "الطيب باي" وفي الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم (12 ماي 1881) وقع الباي على المعاهدة[2].

ويحمل توقيع الباي على المعاهدة دون مقاومة، دلالة على ضعف شخصيته. وبذلك كانت تونس أول تجربة لنظام الحماية في تاريخ الاستعمار الفرنسي، وكان الهدف من هذا النظام هو إسكات المعارضة الدولية، وخاصة إيطاليا التي كانت المنافس لفرنسا، بحجة أن فرنسا لم تقض على كيان الدولة الواقعة تحت الحماية

---

[1] علي المحجوبي : مرجع سابق، ص40.

[2] شوقي عطا الله الجمل : **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)** ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص ص307-308.

بالضم، وإقناع الحكومة الفرنسية بأنها لن تتكلف أعباء مالية جديدة ومما جاء في معاهدة الحماية، أن فرنسا تشرف فنيا على الإدارة الوطنية التونسية وأن يكون الاحتلال العسكري مؤقتا.

وقد ألحقت فرنسا معاهدة "باردو" (أنظر الملحق رقم 02)، بمعاهدة أخرى في (8 جوان 1883) تعرف بمعاهدة "المرسي"(أنظر الملحق رقم 02) ، والتي أعطت لفرنسا صلاحيات أوسع، ووسعت من صلاحياتها لتتركز السلطات في يد المقيم العام، فهو يضع المراسيم التشريعية المختلفة ويصدرها بعد توقيع الباي.

ومن الناحية الإدارية قسمت تونس إلى 19 إدارة وعلى كل إدارة مشرف مدني فرنسي، وفي المجال السياسي، حالت الحماية دون مشاركة التونسيين في أي نشاط سياسي، والنشاط الوحيد المسموح به هو مشاركتهم في المجالس البلديةّ، ومنح الفرنسيين حق امتلاك الأراضي الزراعية الخاصة وهذا كله من اجل تعميق الوجود الفرنسي[1].

المبحث الثاني: المقاومة المسلحة وأسباب فشلها

لم يرضخ الشعب التونسي للإستعمار الفرنسي الذي احتل بلاده، وسلب حقوقه وفرض القيود عليه، رغم الموقف السياسي والعسكري، الذي اتخذته الحكومة تجاه دخول الجيش الفرنسي لتونس، فقبل شهر من الاحتلال سمح الوزير الأكبر "مصطفى بن إسماعيل" لضابط فرنسي يدعى "كاملان" بزيارة الأبراج في كل من "بنزرت" و"الكاف" و"باجة" ويسجل ما فيها من السلاح وغيره. وما إن احتلت فرنسا تونس اتجهت الحملة الفرنسية نحوها قبل غيرها وذلك لأهميتها في تحصين قواتها برا وبحرا، وما إن وصلت طلائع جيش الاحتلال لضاحية (باردو) حتى كانت الاتفاقية

[1] ناهد إبراهيم دسوقي :**دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ،2008،ص146-147.

مكتوبة تنتظر التوقيع، ووقع عليها فعلا في نفس اليوم الذي قدمت فيه بتاريخ (12 ماي 1881) ، فاستسلمت الحكومة وقيادتها العسكرية دون أدنى مقاومة. وهذا يدل على أن الباي "محمد الصادق" استسلم لمطالب الفرنسيين دون مقاومة وامتناع اللواء "العربي زروق" عن التوقيع، ونصح الباي بعدم قبول الاتفاقية، ومقاومة التدخل الفرنسي.

رغم وضوح نوايا فرنسا في مسألة الاحتلال، فإن الباي لم يتخذ أي إجراء عملي لمواجهة الموقف عسكريا سوى تجهيز محلة[1*] صغيرة بقيادة وزير الحرب "سليم" لجهة خمير تعد: (1000) جندي، و(500) عسكري نظامي و(500) من المخازنية تحمل معها 5 مدافع، وبعد أسبوع جهزت محلة أخرى تحت قيادة ولي العهد تتركب من (1300) عسكري نظامي و(500) من المخازنية و(500) من زواوة و(500) من الحنفية، تحمل 6 مدافع. ولكن هاتين المحلتين بالإضافة إلى ضعفهما في العدد والتجهيز(1) إلا أن الحكومة لم تكن تعتزم بهما محاربة القوات الفرنسية وإنما الهدف هو إظهار النية في معاقبة القبائل، وإبراز وجود الدولة في هذا الظرف، لذلك لما دخلت فرنسا فعلا أعطي الأمر لمحلية "علي باي" بالتراجع أمام القوات الفرنسية ونتيجة لضعف شخصية "الباي" ووقوعه تحت سيطرة وزيره، وفقدان الجيش لدوره منذ زمن لم يبق منه إلا الإسم وحتى أن وجدت النية للمقاومة لدى الحكومة فانه ليس بإمكانها جمع غبار جيش متناثر في المدن والقرى نسي التدريب واستعمال السلاح وصدئت أسلحته، حتى أن وزير البحر في ذروة الأحداث، لم يخف ما لديه من السلاح، فقد اعلم وزير الحرب بان جميع بنادق العسكر عاطلة عن العمل وهو

---

[*] المحلة: هي جيش يضم النظاميين وغير النظاميين يقوم بتوطيد الأمن وجباية الضرائب.

(1) الشيباني بلغيث :**الجيش التونسي في عهد صادق باي (1859-1882)** تق: عبد الجليل التميمي ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي ،تونس ،1995 ،ص ص213-214.

يطلب إصلاحها، وكيف للجيش بهذه الحالة أن يقاوم جيشا له أسلحة متطورة، ومدربا تدريبا حديثا. وبذلك تم الاحتلال، واستسلمت الحكومة دون أي مقاومة، مما جعل فرنسا تعتقد بمجرد احتلال المناطق الاستراتيجية في الشمال وتوقيع معاهدة الحماية، لذلك سحبت عدد كبير من قواتها حتى لا تتكلف أعباء كبيرة في الحرب غير أن هذا الاعتقاد ثبت بطلانه، ببدء المقاومة(أنظر الملحق رقم 03)،الفعلية من طرف القبائل والجنود الفارين من محلة الباي[1].

1. المقاومة بالشمال:

كانت في طليعة حركة المقاومة في شمال البلاد، قبائل خمير وسكان الجبال. فما إن وصلت السفن البحرية إلى ميناء طبرقة حتى هب متطوعون من "أولاد بوسعيد" و"الحوامدة" و"أولاد عمر" بقيادة شيوخهم للمقاومة ومواجهة الأعداء. ولم تتمكن قوات الاحتلال من السيطرة على المدينة في(26 أبريل 1881)إلا بعد قصفها.

إعترفت السلطات العسكرية الفرنسية بان أفراد هذه القبائل إستماتوا في الدفاع طوال ساعات عديدة ولم يوقفوا القتال إلا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة[2].

ثم تواصلت المقاومة في جبهة "جندوبة" بمشاركة قبائل "أولاد سالم و"الشياحية" و"عمدون"، وشهد سهل بوسالم في (30 أبريل 1881) معركة عنيفة دارت رحاها في موضع يعرف بـ "ابن بشير"، حيث تواصل القتال من الساعة الثامنة صباحا إلى السادسة مساء واضطر المقاومون إلى التراجع والفرار من ساحة المعركة، نظرا للتفوق التقني الذي أظهره العدو في المعركة.

---

[1] الشيباني بلغيث، مرجع سابق، ص ص214-215.

[2] علي المحجوبي : **العالم العربي الحديث و المعاصر تخلف فالاستعمار فمقاومة،** دار محمد علي للنشر تونس، 2009 ص120.

وتميزت قبائل "مقعد" و"هذيل" في الشمال أيضا بمقاومتها الشديدة للغزاة. ففي (28 أبريل 1881) إستولى أبناء مقعد على سفينة حربية فرنسية غرقت في عرض الساحل التونسي بين "رأس سرات" وميناء "بنزرت" فنهبوها وأسروا من فيها. ولم تتمكن قوات الاحتلال من القضاء نهائيا على مقاومة هذه القبائل إلا في بداية شهر "جوان"، إذ استسلم أبناء مقعد وأجبروا على تسليم أسلحتهم للعدو، كما قدموا حوالي عشرين رهينة تم سجنهم في مدينتي عنابة وتونس، كما أجبرتهم على دفع غرامة حربية قدرها (12000 فرنك)، وعمدت سلطات الاحتلال إلى نزع السلاح من المقاومين[1].

2. المقاومة في الجنوب:

أما المقاومة في الجنوب فقد عاشت صفاقس خلال شهر (جوان 1881) جو من الاضطرابات قام بها عامة السكان بالاشتراك مع جمع من قبيلة "المثاليث" وكانت الشائعات الرائجة آنذاك حول تدخل الدولة العثمانية لطرد فرنسا من البلاد التونسية، مما بعث الفزع في قلوب الجالية الأوروبية. ونتيجة لهذا الوضع فقد أسس القائد "حسونة الجلولي" حراسا مدنيين لحماية الأوروبيين من غضب السكان، لكن الثوار هاجموا القائد "حسونة الجلولي" لتواطئه مع الفرنسيين، لكن هذا المتواطئ التجأإلى زاوية "سيدي علي الكراي" ليلتحق سرا بإحدى سفن الأسطول الفرنسي، التي بعث بها "روستان"، لقمع المقاومة، فتأسست لجنة للدفاع عن المدينة برئاسة "محمد الشريف" ضابط المدفعية بجامعة صفاقس التي إنضمت إلى المقاومة مع قائدها "محمد معتوق"، وبمساندة الشيخ "محمد كمون"[2].

---

[1] علي المحجوبي :العالم العربي الحديث والمعاصر....، مرجع سابق، ص ص120-121.

[2] علي المحجوبي : **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، مرجع سابق،ص48.

ويعد "علي بن خليفة" والذي ساندته القوى الشعبية الإسلامية بحكم فتاوى الزيتونة المعادية للحمادية وكذا التعبئة الفعلية للزوايا، واستطاع أن يكبد فرنسا خسائر كبيرة خاصة في المناطق الداخلية والصحراوية، مما اضطر الجيش الفرنسي بإعادة الانتشار لاحتلال الإقليم برمته والتحكم في المدن الحساسة خاصة تونس العاصمة والقيروان [1].

ونتيجة لهذا لم تستطع المقاومة الصمود طويلا أما الأسطول الفرنسي حيث ضم 17 سفينة حربية و6000 جندي فسقطت مدينة صفاقس في (16 جوان1881) نتيجة للتفاوت التقني بين أسلحة الثوار التونسيين وسلاح قوات الاحتلال.

3. المقاومة بالساحل والوسط:

شملت المقاومة قبائل "جلاص" و"الهمامة" وسكان قرى الساحل الذين صبوا في غمرة الحماسة لمقاومة قوات الاحتلال، وقد نشط هؤلاء الجنود في أربعة مراكز للمقاومة بالقلعة الكبرى، وجمال، وبنان، وقصور الساف يقودها تباعا الساسي سويلم والحاج علي بن خديجة وسعد بن حسين القم وولد البحر، حيث تحرك المقاومون للعمل على منع جيش الاحتلال من التقدم، حيث أغاروا بضواحي باردو على قطيع من الإبل يملكه الباي الذي اتهمه السكان بخيانة البلاد وتسليمها للعدو.

وفي هجوم آخر هبت جموع غفيرة من جلاص والهمامة والسواسي وأولاد سعيد ورياح والطرابلسة تصدوا في جهة تونس للقوات الفرنسية ومنعها من التقدم إلى داخل البلاد.

---

[1] سالم برقوق : **الاستراتيجية الفرنسية في المغرب العربي**، طاكسيج كوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009 ص61.

وفي نفس الشهر، انقضوا على المعسكرات التابعة لكتيبة المقدم "كوريارد" حيث اعترفت السلطات الفرنسية بأن المقاتلين التونسيين قد جابهوا العدو بكل بسالة طوال هذه المعارك الثلاث.

وكرد فعل على هذه الأعمال أوقف الجنرال "ساباتييه" خمسة عشر من أعيان زغوان وفرض على السكان غرامة مالية تقدر بـ (200 قفير) من الشعير و(100) رأس بقر و(200 خروف) تسلم كلها خلال 48 ساعة[1].

فاضطر المقاومون إلى تغيير طريقتهم في القتال لعدم قدرتهم على مواجهة هذه القوات الفرنسية، فتخلوا عن طريقة الهجوم المباشر واكتفوا بمراقبة المسالك التي تؤدي إلى القيروان لكي يمنعوا قوات الاحتلال من التقدم نحو هذه المدينة المقدسة أماالسلطات الفرنسية فقد عملت من جهتها على تحقيق الهدف الذي رسمته والمتمثل في إتمام احتلال الإيالة بغزوها القيروان[2].

وتعود أسباب فشل المقاومة المسلحة في تونس إلى عدة أسباب منها:

- عدم وجود خطة موحدة للمقاومة.
- نقص السلاح لدى الثوار وقدمه.
- تواطؤ الباي مع الفرنسيين ووقوفه ضد المقاومين.
- خلو البلاد من الجبال والوديان التي بإمكانها أن تحمي الثوار من مدافع الفرنسيين وعدم سهولة نصب كمائن للقوات الفرنسية كبقية ما يحدث في بلاد المغرب العربي بالجزائر تحديدا.

---

[1] علي المحجوبي :**إ نتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، مرجع سابق، ص ص125-126.

[2] علي المحجوبي : **العالم العربي الحديث و المعاصر تخلف فالاستعمار فمقاومة**، مرجع سابق،ص126.

- عجز الأتراك تقديم العون للثوار وامتناع السلطان عن توجيه فرمان لقواته العسكرية المرابطة في طرابلس الغرب بتقديم السلاح والذخيرة لثوار تونس وتطلع السلطان عبد الحميد الثاني لتثبيت عرشه[1].

وهكذا انتهى الكفاح المسلح في تونس ضد المستعمر لتبدأ مرحلة جديدة من الكفاح في تونس وهي المقاومة السياسية بقيادة مجموعة من رواد الإصلاح في تونس الذين تأثروا بالإصلاح في المشرق العربي.

المبحث الثالث: حركة الشباب التونسي (1907-1912)

بعد أن قاوم التونسيون الاستعمار الفرنسي لمدة قصيرة، اتجهوا إلى الكفاح السياسي بمختلف وسائل وهذا للأسباب السالفة الذكر والتي ساهمت في بروز النشاط السياسي في وقت مبكر على يد أوائل رواد الإصلاح ومن أبرزهم الشيخ "طاهر بن عاشور" "بيرم الخامس" و"محمد السنوسي" وكان لهؤلاء صلة بالمشرق العربي وخاصة بتيار السلفية الحديثة الذي تزعمه "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" فكان الرواد التونسيون من المتمسكين بالشخصية العربية الإسلامية التونسية وبإحياء الإسلام، مع الأخذ بالعلوم الغربية التي تعد ضرورة للتقدم في كل المجالات وقد عرفت السنوات الأولى من القرن العشرين ظهور جماعة الحاضرة، والتي كانت نواتها رجال الإصلاح الذين تكتلوا سوية، و قد برز من جماعة الحاضرة المحامي "على بوشوشة"* حيث عملت جماعة الحاضرة على تعريف القراء التونسيين بتاريخهم

---

[1] محمود علي عامر : **تاريخ المغرب العربي المعاصر**، مرجع سابق،ص130.

*علي بوشوشة: من مواليد سنة 1859، ينحدر من عائلة من بنزرت، كان بوشوشة منذ نعومة أظافره يحب الأرض والأشغال الفلاحية الصعبة، وفي نفس الوقت كان حريصا على تعلم اللغات خاصة العربية والفرنسية والتركية حيث اظهر تفوق كبيرا فأسس سنة 1881 جريدة الحاضرة، وكان من مسيري الجمعية الخلدونية. توفي بوشوشة يوم 18 أوت 1917 إثر مرض العضال. أنظر الصادق الزمرلي: **أعلام تونسيون**، دارالغرب الاسلامي تونس ، 1982 ، ص ص133-139.

القومي ومن ابرز الشخصيات كذلك "البشير صفر"* وهو من خريجي المدرسة الصادقية، الذي يوصف انه أبو النهضة الثاني، و بمبادرة هذه الشخصية تأسست الجمعية الخلدونية سنة (1896) و كانت تهدف إلى إبراز الحضارة العربية.

وفي سنة (1905) تأسست جمعية خريجي الصادقية برئاسة "خير الله بن مصطفى"[1]ومن خلال هذا النضال من زعماء الجمعية الخلدونية والصادقية، بدأ الوعي لدى الشباب التونسي يتجه إلى العمل السياسي التنظيمي[2].

حيث تأسست في سنة (1907) أول حركة سياسية منظمة لمقاومة الاستعمار بقيادة "علي باش حانه"** "وعبد العزيز الثعالبي"، حيث تأثرت هذه الحركة في نظامها وأهدافها بحركة "تركيا الفتاة" فساهمت هذه الحركة بشكل فعال في دفع طريق النضال قدما، فبدأت في محاولة تنظيم الجماهير في إطار الحزب وخرجت بذلك من الإطار الذي أراد الفرنسيون أن تكون عليه، وهو مجموعة من المثقفين تكون أداة في يدهم، لكن التجربة التي كانت لهؤلاء مع الفرنسيين جعلت منهم وطنيين مرتبطين بشعبهم.

---

*البشير صفر: ولد البشير صفر بتونس في 27 فيفري 1865 وكان من أول من التحق بالمدرسة الصادقية ثم تحول إلى فرنسا لاستكمال دراسته بصحبة بعثة من رفاقه، أسس الجمعية الخلدونية سنة 1897 التي قامت بأداء مهمة خالدة في تاريخ الثقافة التونسية، من مؤلفاته كتاب "مفتاح التاريخ". توفي بتاريخ 17 أبريل 1917. أنظر محمد بوذينة: **أحداث العالم في القرن العشرين (1910-1919)**، ج1، منشورات محمد بوذينة، تونس، د.ت ص205.

[1]محمود علي عامر، مرجع سابق،ص132.

[2]الطاهر عبد الله : **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1956)** ، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص39.

علي باش حانبه: (1876-1918) ولد بتونس العاصمة من أصل تركي، درس بالمعهد الصادقي ثم عين متصرفا فيه كان عضوا بالخلدونية ويعتبر المؤسس الأصلي للمدرسة الصادقية أسس سنة 1907 جريدة التونسي، وجريدة الاتحاد الإسلامي سنة 1911، كان من قادة حركة الشباب التونسي ابعد عن تونس واستقر في إسطنبول وتوفي فيها. أنظر الصادق الزمرلي :أعلام تونسيون** ، مرجع سابق ، ص ص141-158.

فتعد هذه أول ضربة توجه للاستعمار الفرنسي من طرف التونسيين المثقفين[1] وأول عمل قامت به حركة "تونس الفتاة" هو إنشاء جريدة سميت "التونسي" والتي أسسها "علي باش حانبه" في (7 فيفري 1907)[2] وكانت ثاني جريدة وطنية تصدر باللغة الفرنسية، بعد جريدة "بريد تونس" "للثعالبي" حيث تطور برنامجها مع الزمن فقد طالب فيه أصحابه بتمثيل التونسيين في المجلس الاستشاري، والمشاركة في التحصيل على أراضي الدولة بواسطة بعث مراكز تونسية للتعمير ودافعت بشدة عن مسالة تعليم الذكور والإناث أبناء التونسيين، وإلغاء القرارات التي تمنعهم من تقليد الوظائف الإدارية السياسية.

ومن هنا بدأت الحركة الوطنية التونسية تأخذ منعرجا آخر، فبينما كان عملها فيما قبل مختلطا بالإصلاح والاجتماعي والفكري، فإننا نجدها بعد تأسيس جريدة "التونسي" تدخل في ميدان السياسة من بابها الواسع[3].

وقد هاجمت الصحافة الاستعمارية وعلى رأسها جريدة "المعمر الفرنسي" جريدة "التونسي" فنعت (كارنيار) التونسيين بالإنسانية والأخلاق، وأنهم قوم لا يخضعون إلا للقوة ثم أنكر عليهم امتلاك مستوى الكفاءة والأخلاق المطلوبة في تقلد الوظائف العمومية.

فزادت تلك المواقف من حدة الحركة الوطنية التونسية سياسيا، خاصة عند انضمام "عبد العزيز الثعالبي" إليها حيث أضاف نشر جريدة التونسي باللغة العربية وتولى

---

[1] الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص ص39-40.

[2] شارل اندري جوليان : **المعمرون الفرنسيون و حركة الشباب التونسي**، تع محمد مزالي، و البشير بن سلامة الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر، 1985، ص121.

[3] يوسف مناصرية : **الحزب الحر الدستوري التونسي (1919-1934)** . رسالة ماجستير: معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1986ص28.

رئاسة تحريرها بنفسه وأصدر أول عدد منها في شهر(أكتوبر 1909) وضح فيها أهداف النخبة التونسية الحقيقية[1].

كما خاضت الحركة الوطنية معركة أخرى سنة (1910) بسبب محاولة اليهود إكتساب حق النظر في قضاياهم في المحاكم الفرنسية وهذا كخطوة تمهيدية للانفصال عن جنسيتهم التونسية واكتساب الجنسية الفرنسية، فما كان من الحركة الوطنية في تونس إلا أن وقفت تحارب هذه الخطوة التي تقضي بتجنيس اليهود بشكل جماعي وأدت بالنهاية إلى حركة ضد اليهود ودعوا الشعب إلى مقاطعتهم اقتصاديا وأدبيا، مما جعل السلطات الفرنسية تتراجع في تطبيق هذا القانون وكسب الحركة الوطنية المعركة، حيث استطاع التونسيين إنعاش اقتصادهم بعد مقاطعتهم لليهود اقتصاديا مما أدى إلى انبعاث روح الحرص على احتلال مراكز الصدارة في الحركة الاقتصادية للبلاد[2] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إن قادة الحركة الوطنية أصبح لديهم الوعي والحس الوطني لمجابهة المستعمر بكل قوة وحزم.

أحداث مقبرة الزلاج:

وفي الفترة التي بلغ فيها التحمس للدفاع عن الإسلام أقصى حد، أقدمت السلطات الاستعمارية على تسجيل أراضي مقبرة الزلاج*[3]

---

[1] يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص44.

[2] الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص42.

[3] شارل اندري جوليان : **إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية**، تر المنجي سليم و آخرون، الدار التونسية للنشر،الجزائر، 1976، ص89.

*مقبرة الزلاج: تقع المقبرة جنوب تونس، حيث تعتبر أكبر المقابر في تونس وتضم قبور المرابطين والعلماء المشهورين، وتوجد بها زاوية سيدي الشاذلي الذي يعود إلى الطريقة الشاذلية.

حيث أعطى الأمر المؤرخ في (30 جويلية 1884) وقرار(أول أبريل 1885) لبلدية تونس الحق في الإشراف، وتنظيم مقبرة الزلاج، وهذا يعني من الناحية القانونية إدخالها ضمن ممتلكات البلدية بالرغم أنها ارض حبوس.

ولقد رأى التونسيون في هذه العملية –أي تسجيل المقبرة–أنه وضع يد المسيحيين على ارض حبوس إسلامية، وقد علموا بهذا القرار عن طريق نشر قرار البلدية في الجريدة الرسمية في شهر أكتوبر (1911) فكان لذلك الخبر أثر كبير على الأهالي المسلمين، وقد صادف نشر هذا القرار وصول أخبار من طرابلس على الغزو الإيطالي لليبيا، ونتيجة لهذا القرار فقد خلق ضجة كبيرة من تعاليق شعبية وصحفية حيث استعمل التونسيون لأول مرة في تاريخ تونس المناشير المعرضة لتسجيل المقبرة.

وقد حاولت السلطات الاستعمارية وضع مجموعة من التبريرات أمام هذا الوضع الجديد للمقبرة، بدعوى أن إصلاحها لا يأتي إلا بتسجيلها ضمن عقارات البلدية، وقد أثيرت حول هذه المسالة آراء وتحاليل متعددة منها أن البلدية كانت تريد من وراء الضم الحصول على ساحة كافية لمد خط سكة الحديد التي تربط تونس و"غار الدماء" في الحدود الجزائرية وكان هذا المشروع ضمن المشاريع القديمة التي عرضت قبل (1911) لكنه أجل[1].

أما الفرضية الثانية أن القصد من وراء هذه العملية، فهو إقامة خط للترامواي عن طريق المقبرة، وهذا استجابة لرغبة المليونير "كلود كارتيني" أما جريدة الحاضرة، فقد نشرت في عددها الصادر يوم (31 أكتوبر 1911) تعليقا أدانت فيه هذا الإجراء قائلة:«أن البلدية ليس لها مبرر ولا حقولا أية مصلحة لوضع يدها على مقبرة الزلاج

[1]الجمعي خمري : **حركة الشبان الجزائريين و التونسيين (1900–1930)** دراسة تاريخية و سياسية مقارنة. أطروحة دكتوراه: قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة،2002 ، ص ص 353–354.

اللهم إلا إذا كانت تريد تسجيلها بهدف جعلها مكانا عموميا للنزهة أو لبناء عمارات توزعها على المجموعة الأوروبية.»

أما الرأي الثالث أن البلدية أرادت الاستفادة من الصخور الموجودة في المقبرة لإصلاح الأرضية المحاذية للسكة الحديدية المهددة بالانجراف.

أما السبب الحقيقي فهو مد السكة الحديدية، وليس شيء آخر[1].

وتحت وطأة اشتداد المعارضة الشعبية وموجة الاحتجاجات التي كانت في المساجد أعلنت البلدية عدولها عن التسجيل، ولكن الجماهير لم تصدق ذلك وظنت أن الخبر خدعة لصرف الشعب عن المقبرة. فتجمع الشعب في (7 نوفمبر) في المقبرة وما حولهاّ، و ازداد غضب الشعب تأجيجا حين قدم في الصباح رئيس البلدية ومندوب عن الحكومة ومندوب عن المجلس المختلط فصاحت الجماهير مرددة ألفاظ السب والشتم وهاتفه بخيانة رئيس البلدية فتم إطلاق النار من طرف البوليس فتساقط عدد من القتلى والجرحى وقابل الجمهور الأعزل هذا الإرهاب الأعمى بضرب العصي ورمي الحجارة وهتفت الجماهير« بالجهاد في سبيل تحرير الوطن والويل للمعتدين » وكان هذا الإنذار بفشل البوليس في السيطرة على الموقف وتطورت المعركة ليحصل صدام دموي بين التونسيين والأجانب خاصة الإيطاليين[2].

حرب طرابلس:

في يوم (29 سبتمبر 1911)أعلنت إيطاليا الحرب على مدينة طرابلس الغرب ويذكر أحمد توفيق المدني بهذا الخصوص في كتابه (حياة كفاح، الجزء الأول): "لا أزال اذكر ذلك اليوم الرهيب، وهو أسوء يوم في حياتي دون ريب، وقلبي يلتهب

---

[1] الجمعي خمري، مرجع سابق، صص354-355.

[2] الطاهر عبد الله **: الحركة الوطنية التونسية**، مرجع سابق، ص46.

ودمي يفور وأعصابي توشك أن تتحطم، كانت الدولة العثمانية كما قلت في دور إعادة التنظيم ومقاومة الدسائس الأجنبية التي تستعمل مختلف الطوائف المسيحية في البلاد لتقويض بناء السلطة من أساسه عندما فوجئت بذلك الحدث الرهيب. ولم تكن ولايتا طرابلس وبرقة في حالة تسمح لهما بالدفاع. ولم يكن بهما من الجند التركي إلا ما لا يكاد يكفي لحفظ الأمن الداخلي والمواصلات شبه مقطوعة فالإنجليز في مصر، والفرنسيون في تونس يمنعون يمينا وشمالا كل اتصال مباشر مع طرابلس..."[1].

حيث كان لهذا الغزو أثار مدوية في كل العالم الإسلامي ،لاسيما في بلاد المغرب العربي نظرا لما للقطر الليبي من علاقة تاريخية ودينية ولغوية مع البلدان المغاربية، حيث تعالت الأصوات المنددة لهذا الاحتلال من الجزائر وتونس خاصة نجد أن الشباب التونسيين يصدرون جريدة بمناسبة الحرب الإيطالية الليبية بعنوان "الاتحاد الإسلامي" وهو عنوان كبير يدل على أهمية التضامن الذي كانت تعلقه النخبة التونسية على دور المسلمين في ردع العدوان الإيطالي[2].

ووقف الشعب التونسي وقفة رجل واحد، فتكونت اللجان الشعبية والجمعيات لجمع التبرعات والأسلحة للمجاهدين، وتمكن العديد من التونسيين من الوصول إلى طرابلس والالتحاق بصفوف المقاتلين واستشهد الكثير منهم. فتحركت السلطات الاستعمارية، إذ رأت أن زمام الأمور تفلت من يدها. فتم اعتقال وإبعاد "علي باش حانبه" ونفيه حيث هاجر إلى تركيا، عبد العزيز الثعالبي الذي التحق بالجزائر ثم

---

[1] أحمد توفيق المدني : **حياة كفاح (مذكرات)**،ج01 ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010 ص ص63-64.

[2] الجمعي خمري، مرجع سابق، ص361.

مصر، وتم نفي زعماء كثيرون من الحركة الوطنية الذين التحقوا بالدولة العثمانية وساعدتهم على مواصلة كفاحهم[1].

المبحث الرابع: الحزب الحر الدستوري التونسي (1920-1934)

1. تأسيس الحزب:

لقد أدت التحولات الناجمة عن الحرب العالمية الأولى إلى انتعاش الروح الوطنية، وخاصة بعد انتصار الحلفاء ساهمت في إرساء دعائم الحركة الوطنية من أبرزها اعتراف الرئيس الأمريكي "ولسن" في(جانفي 1918) بحق الشعوب الخاضعة للهيمنة الأجنبية في تقرير مصيرها بالرغم من أن هذا المبدأ لا يشمل إلا الشعوب الأوروبية التي تعرضت للهيمنة الألمانية والنمساوية، إلا أن الزعماء الوطنيين لم يترددوا في توظيف هذا المبدأ لصالح القضية التونسية.

الثورة البلشفية ومساندة حركات التحرر بالمستعمرات حيث كان لها الأثر البالغ لدى بعض الزعماء الوطنيين وكذلك ما حدث في تركيا وهو ارتباط النخبة المثقفة بسياسة الجامعة الإسلامية التي سلكها السلطان "عبد الحميد الثاني"، وبجمعية الاتحاد والترقي التي ساندت نشاط الوطنيين في المهجر طوال الحرب العالمية الأولى، وكذلك مبادرات الزعيم المصري "سعد زغلول" من خلال تأليفه وفد من حزب الأمة للتعبير عن مطالب مصر أما مؤتمر الصلح بباريس وطرح قضية الاستقلال كان لها تأثير كبير على زعماء الحركة الوطنية أمثال "عبد العزيز الثعالبي" وكذلك منح إيطاليا لطرابلس تاريخ (جوان 1919) ميثاقا ينص على إنشاء مجلس نواب منتخب فاعتبره القادة الوطنيون بادرة نحو الاستقلال الداخلي لطرابلس، هذا على المستوى الدولي أما على المستوى الداخلي فقدان تونس رصيدا بشريا نتيجة

[1] الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص47.

مشاركتهم إلى جانب فرنسا في حربها فكان لها تأثير كبير على سوق الشغل الفلاحي بفعل نقص اليد العاملة.

السياسة الاستعمارية وتواصل الاستيلاء على الأراضي الفلاحية الخصبة وأمام اشتداد السياسة الاستعمارية بالبلاد التونسية، اقتنع زعماء حركة الشباب التونسي في الداخل والخارج بضرورة التنظيم سياسيا، وتجلى ذلك من خلال تأسيس الحزب التونسي.

تعود بوادر نشأة الحزب إلى الاجتماعات العديدة التي جرت بالعاصمة في سنة (1919)

والتي أكدت على ضرورة سن دستور يضمن حقوق الأهالي وضم الحزب التونسي كلا من "عبد العزيز الثعالبي" و"احمد الصافي" و"حسن قلاتي" وثلة أخرى من المحامين والأطباء والصحفيين، ورغم أن الحزب في بدايته كان نخبويا فقد تمكن زعماؤه من تجديد أشكال نضالهم وذلك من خلال إرسال[1] مذكرة في(مارس 1919) إلى كل من الرئيس الأمريكي "ولسن"[2] وإلى وفود مؤتم الصلح بباريس، يطالبون فيها بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها لكن الدول المجتمعة لم تهتم بمطالب التونسيين[3].

إلا أن فشل الحزب في مسعاه، فد تطلب تغيير خطة عملهم و توجهوا إلى كسب مساندة الأحزاب السارية الفرنسية، فقد كلف الحزب التونسي "احمد السقا"

---

[1] خليفة الشاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ص 84-87.

[2] Rodd Black : **la Tunisie aprés la guerre problème politique 1920-1921**, pub lication de comtie de l'Afrique française, paris, 1922.p58

[3] شوقي عطا الله الجمل : **المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب الأقصى (مراكش)** ، المكتب المصري توزيع المطبوعات، القاهرة، 2007، ص412.

و"عبد العزيز الثعالبي" بتمثيله بباريس، حيث تم إبعاد "أحمد السقا" إلى باريس (أبريل 1919)، ويعتبر أول مبعوث للحزب التونسي إلى فرنسا، وقد تمكن بالاتصال بالصحف وبعض الأوساط اليسارية لاسيما الحزب الاشتراكي، حتى هيا الظروف[1] للثعالبي والذي كذلك لم يترك مجالا ينفذ منه إلى الرأي العام الفرنسي إلا وولجه فقد اتصل بالزعماء الاشتراكيين ووثق عرى الصداقة بهم واختلط بمختلف التجمعات السياسية ونظم الاجتماعات، وكتب في الصحف المقالات، واستطاع ربط صداقات عديدة وخاصة مع زعيم الاشتراكيين "مارسيل كاشان" الذي مكنه من عرض القضية على مجلس النواب، فأصبح"الثعالبي" شخصية مرموقة في باريس، وهذا يعود إلى الوسط الذي تحرك فيه وهو وسط الحزب الاشتراكي وهو اليسار الفرنسي، إلاأن هذا الأخير فشل في انتخابات (1919)، فثارت قيادة الحزب التونسي ضده على اعتبار أنه أساء بهذه الصلة لتونس ففي تلك الفترة أصدر الثعالبي كتاب "تونس الشهيدة" فنجح نجاحا منقطع النظير، وأرسله بالبريد إلى كل المسؤولين في فرنسا من وزراء ونواب وموظفين كبار، وتم إيصاله إلى تونس فتناقلته الأيدي سرا وعلقت عليه الصحف الفرنسية، واقتطعت منه الصحافة الحرة مقاطع كثيرة و نشرتها، ونتيجة لتلك الضجة التي أحدثها تم اعتقال "الثعالبي" في باريس بتهمة التآمر على أمن الدولة[2] وعندها بلغ نبأ اعتقال "عبد العزيز الثعالبي" تحركت الجماهير وأخذت تدمر المصالح الأجنبية وتهاجمها، وتحت الضغط الشعبي أجبرت فرنسا على إخلاء سبيله، فالتف حوله الشعب والطلائع المثقفة ودعوا إلى تأسيس حركة سياسية وطنية تنظم النضال الوطني[3].

---

[1] خليفة الشاطر و آخرون، مرجع سابق، ص86.

[2] عبد العزيز الثعالبي :**تونس الشهيدة**، تر وتق سامي الجندي، دار القدس، لبنان، ص16.

[3] الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص54.

فتأسس الحزب الحر الدستوري التونسي وأنتخب "عبد العزيز الثعالبي"(أنظر الملحق رقم 04)،بالإجماع رئيسا للحزب، و"أحمد الصافي أمينا عاما له، وبدأ هذا الحزب في تكوين الشعب والفروع في أنحاء البلاد التونسية، وبث الدعوة الوطنية في نفوس المواطنين ليكونوا أداة الكفاح ضد الاستعمار[1] وقد قدم الحزب في سنة (1920) مطالبه والتي طالبوا فيها بما يلي:

- تشكيل جمعية تشريعية مختلطة (فرنسية وتونسية) لها صلاحيات واسعة ولاسيما في القضايا المالية.
- تأليف وزارة مسؤولة أمام المجلس.
- الفصل بين السلطات التشريعية، التنفيذية، والقضائية فصلا تاما.
- منح التونسيين حق شغل الوظائف حسب كفاءاتهم ومساواتهم بالفرنسيين.
- المساواة بين الموظفين التونسيين والفرنسيين بالرواتب.
- تشكيل مجالس محلية منتخبة.
- جعل التعليم إجباريا.
- منح التونسيين حق شراء ارض الدولة.
- منح التونسيين حرية عقد اجتماعات، وتشكيل الأحزاب وضمان حرية الصحافة.

ويلاحظ أن هذه المطالب لا تتعرض لذكر الاستقلال بل تقرر للفرنسيين حق الاشتراك في حكم تونس[2].

وقد سافر "عبد العزيز الثعالبي" إلى باريس في (15 مارس 1920) لمطالبة فرنسا بإقامة حياة دستورية في تونس، وقد إعتقل "الثعالبي" لبضعة شهور في باريس

---

[1] الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص55.

[2] إسماعيل احمد ياغي : **تاريخ العالم العربي المعاصر**، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000، ص364.

بناء على رسالة من المقيم العام الفرنسي في تونس "لويس فلان دان" لكن السلطات الفرنسية أفرجت عنه وسمحت له بالعودة إلى تونس حتى تقضي على الاضطرابات التي بدأت تنتشر اثر انتشار خبر اعتقاله في فرنسا وقد حاول الحزب الدستوري التقاء باي تونس أملا في أن يساعد الحزب في تحقيق أهدافه، لكن الحكومة الفرنسية سعت من جانبها لإيجاد الفرقة بين الطرفين لكن الباي أبدى تعاطفا مع الحزب وقد شجع ذلك الحزب على إرسال وفد إلى فرنسا برئاسة "احمد الصافي" ليقدم للمسؤولين الفرنسيين مطالب الشعب التونسي، لكن الوفد عاد لتونس دون أن يحقق شيئا وإزاء تعدد المظاهرات المطالبة بالدستور اضطرت الحكومة الفرنسية لتغيير المقيم العام الفرنسي وعينت مكانه "لوسيان سان" وهو المقيم العام رقم 10 والذي حكم البلاد من (1921) إلى (1928) وقد حاول هذا الأخير تهدئة الأحوال في تونس فقام ببعض الإصلاحات.

فقد شرع في رفع الأحكام العرفية، وادخل بعض الإصلاحات على مجلس الشورى الذي أصبح يدعى بالمجلس الكبير، وكذلك أوجد وزارة العدل وأطلق الحريات العامة وفق مخطط استعماري نسج خيوطه لكي يتسنى له بعد ذلك إغراق تونس بالجاليات الأجنبية الأوروبية من إيطاليين وإسبان إلى جانب الجالية الفرنسية الضخمة، وهذا لدمج تونس في فرنسا وهي خطة ذكية، لم تنخدع لها الحركة الوطنية، إلا مجموعة قليلة قبلت التعاون مع هذا المقيم وأسسوا حزب ما يسمى فيما بعد "حزب الإصلاح" وكان على رأس هذا الحزب المحامي "حسن قلاتي" و"الشاذلي قسطلي" ولم يعمر هذا طويلا وأصبح عبارة عن مجموعة من المثقفين يتعاونون مع السلطات الاستعمارية ضد شعبهم، وانتهوا في نظره خونة[1]

[1] شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص413.

للأهداف والمبادئ، وبسبب ذلك قادت السلطات الاستعمارية حملة من الإرهاب والقمع ضد الحركة الوطنية وقيادتها[1] فشهد الحزب ركود نشاطه وهجرة "عبد العزيز الثعالبي" إلى المشرق في (جويلية 1920) قاصدا مصر والعراق، وبعد خروجه من تونس تابع "احمد الصافي" و"صالح فرحات" سياسته، واستمرت الاضطرابات في صورة مظاهرات عنيفة أحيانا، ومما أثار الأهالي هو صدور قانون التجنيس في (20 ديسمبر 1920) والذي يقضي بإعطاء الجنسية الفرنسية إلى التونسيين إذا توافرت فيهم بعض الشروط[2]. وقد وظف الزعماء الدستوريون صدور هذا القانون لشن حملة صحفية ضد السلطات الاستعمارية، وتجلت هذه الحملة من خلال ما كتب في الصحافة حول هذا القانون[3]والتي تعرضت بدورها إلى التعطيل كجريدة (العصر الجديد) و (المبشر) و (مرشد الأمة)[4].

وفي سنة (1924) عاد الحزب الحر الدستوري التونسي يكرر مطالبه من جديد، وفي نفس السنة عاد "محمد علي الحامي" (القابسي) إلى تونس بعد أن انهي دراسته في ألمانيا و بدا في محاولة تنظيم العمال على أسس نقابية واستمر في محاولته[5]، لكن لم يدع له المجال ولم يعترف بالحق النقابي للموظفين[6].

---

[1]الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص56.

[2]شارل اندري جوليان : **إفريقيا الشمالية تسيير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية**، مرجع سابق، ص97.

[3]خليفة الشاطر و آخرون، مرجع سابق، ص92.

[4]الهادي تيمومي و آخرون : **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ببيت الحكمة تونس، 1999، ص671.

[5]الطاهر عبد الله: مرجع نفسه، ص57.

[6]كريم مصطفى : **قضية الحقوق النقابية بتونس (1881، 1952)**، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد3، مطبعة الإتحاد العام للشغل، تونس، 1975، ص63.

وقد أثار الركود الذي أصاب الحزب الدستوري بعد نفي عبد العزيز الثعالبي[1*] ثائرة بعض من شباب الحزب الذين عادوا من فرنسا فقاموا بتأسيس جريدة "صوت التونسي" في سنة (1928) وكان يديرها "الشاذلي خير الله" ويساعده في تحريرها والده "خير الله بن مصطفى" وكانت تصدر بالفرنسية لان الصحف العربية كانت ممنوعة، والتف حول هذه الجريدة نخبة من شباب الحزب الدستوري التونسي، وبعض الشباب من خرجي المدرسة الفرنسية وتأثروا بالثقافة الفرنسية، واستطاعت هذه الصحيفة التي تميزت بالصراحة والجرأة والصلابة أن تخلق تيارا واسعا أدى إلى تنشيط الحزب وإعادة تنظيمه وترتيب صفوفه ولم تمض مدة طويلة على هذه الجريدة حتى انشق عنها مجموعة من الشباب وأسسوا جريدة "العمل التونسي"[(2)] ومن بين الشباب نجد "الحبيب بورقيبة" و"البحري قيقة" و"محمد الماطري" الذين تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية وطرق عمل أحزاب اليسار الفرنسي، و من الوقائع البارزة التي يساهم فيها انعقاد المؤتمر "الأفخارستي" في (ماي 1930) حيث عزز حزب الدستور قواعده من خلال تكثيف الاجتماعات[(3)] وإصدار اللوائح وشن الحملات الصحفية

---

[*] عبد العزيز الثعالبي: (1879–1944) هو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الثعالبي، الزعيم السياسي والخطيب والكاتب، المفكر و المؤرخ، تعود أصوله من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس بعد الاحتلال ولد بتونس حفظ القران الكريم على يد مدرس خاص، التحق بجامع الزيتونة، كما تابع دروسه بالمدرسة الخلدونية، و في سنة 1907 عمل في حزب تونس الفتاة و كتب في جريدة المبشر، اصدر جريدة "سبل الرشاد" ثم عطلتها السلطات الاستعمارية، و سافر إلى مصر حيث احتك هناك بجمال الدين الأفغاني و محمد عبده ليعود غريب الشكل والنزعة و المنطق و القلم، تعرض عبد العزيز الثعالبي للنفي و اودع السجن، ثم افرج عنه أسس مع رفاقه الحزب الحر الدستوري سنة 1920 و اسند اليه رئاسته إلا أن هناك خلافا وقع بين الأعضاء جعله ينعزل إلى أن توفي سنة 1944 و من مؤلفاته: تونس الشهيدة–تاريخ شمال إفريقيا–مسالة المنبوذين... أنظر محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ص221،213.

[(2)] الطاهر عبد الله : مرجع سابق، ص57.

[(3)] خليفة الشاطر و آخرون، مرجع سابق، ص95.

ضد مؤتمر "الأفخارستي" (*أنظر الملحق رقم 05)، وكان من نتائج ذلك تزايد عدد المنخرطين بالحزب خاصة في الأوساط الطلابية، وبمناسبة الاحتفال بخمسينية الحماية (ماي 1931) قام الدستوريون الشبان بحملة دعائية مكثفة حيث حث السكان على مقاطعة هذه التظاهرة، وكان من نتائج هذه الحملة الصحفية المناهضة لنظام الحماية، أجرت السلطات الاستعمارية متابعات ضد هيئة تحرير "صوت التونسي" واتهمتها بإثارة الحقد بين الأجناس، وبذات الحماس والأسلوب شنت نفس الجماعة حملة صحفية إثر صدور قرار دفن المتجنسين بالمقابر الإسلامية حيث عمل الدستوريون على تعبئة السكان، وتجاوبا مع ذلك أغلق التجار المسلمون دكاكينهم (أبريل 1933) واتجهوا إلى ساحة القصبة للتعبير أمام "احمد باي" عن استيائهم للتعدي على الدين الإسلامي[1] وأمام نجاح الشبان قبل حزب الدستور هيئة تحرير جريدة "العمل التونسي" في الهيئة التنفيذية للحزب بهدف تدعيم الحزب الدستوري التونسي نفسه، وبوصول هذه العناصر الشبانية إلى الهيئة التنفيذية حتى أصبح لها مطالب حديثة والتي تتمثل في مبدأ فصل السلطات، وضرورة إنشاء مجلس تشريعي والاهتمام بنشر التعليم.

وبالرغم أن السلطات الاستعمارية قد حلت الحزب الدستوري واتخذت ضد أعضائه إجراءات شديدة إلا أن انجح عملية قامت بها هي محاولة الوصول إلى التفريق بين العناصر الدستورية التقليدية العربية الإسلامية، والتي كان لها تاريخ في سجل الكفاح السياسي وبين العناصر الشابة ذات الثقافة الفرنسية الحديثة، وأدى هذا

*المؤتمر الافخارستي: هو مؤتمر نظمته السلطات الاستعمارية الذي جمع رجال الدين المسيحيين من دول عديدة في ضاحية قرطاج 1930 للتبشير بالمسيحية.

[1]خليفة الشاطر و آخرون، مرجع سابق، ص97.

إلى ظهور الحزب الحر الدستوري الجديد الذي أصبح يمثل مرحلة جديدة في تطور الحركة الوطنية التونسية[1].

[1]جلال يحي :**المغرب الكبير وحركات التحرر والاستقلال**، ج3، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966 ص1081.

خلاصة الفصل

بعد دراستنا الاستعمار الفرنسي في تونس، فإننا نجد هذا الأخير قد فرض سيطرته منذ البداية، من خلال محاولته محو الهوية الوطنية عن طريق محاربة التعليم باللغة العربية والدين الإسلامي وفتح الدارس الفرنسية ومحاولة الاستيلاء على الأراضي الزراعية، وجعل الاقتصاد التونسي مرتبطا بالاقتصاد الرأسمالي الفرنسي، لكن الشعب التونسي وقف في وجه تلك الممارسات منذ الوهلة الأولى التي دخل فيها الاستعمار الفرنسي إلى ارض تونس. فقد وجدنا أول من رفع السلاح هم من شيوخ الزوايا ودافعوا عن الإسلام بالرغم أن هذه المقاومة لم تستمر طويلا حيث امتدت (1881–1884) لتظهر بعد ذلك نخبة لتدافع عن مبادئ التونسيين وحقوقهم. ومما تقدم نستخلص أن ظهور النشاط السياسي في تونس ظهر مبكرا وهذا راجع للسياسة الاستعمارية في حد ذاتها لأنها كانت اقل حدة مما كانت عليه في الجزائر، فقد برز هؤلاء بنشاطهم فقد ظهروا في البداية من خلال تأسيس الجمعيات والحركات، ليتطور نشاطهم بعد الحرب العالمية الأولى إلى أحزاب سياسية لها مقراتها الخاصة وبرنامجها الواضح، من خلال مطالبتها باسترجاع حرية وحقوق التونسيين التي سلبها منهم الاستعمار، إلا أن هذا الأخير كعادته وقف في وجه هذا النشاط السياسي وقابله بقوانين جديدة تحد من هذا النشاط، من خلال سجن نفي القادة الوطنيين وحل الأحزاب السياسية، ورغم ما تعرض له القادة الوطنيين من نفي وإبعاد إلا أن النشاط السياسي استمر أكثر من الأول بظهور قادة وطنيين تميزوا بنشاط أكثر.

الفصل الثاني: التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة.

أما في الفصل الثاني سيكون محور البحث عن شخصية من الشخصيات التي عرفت بمسارها النضالي الطويل، في تونس والمغرب العربي، والأمة العربية. حيث سيتم التطرق في البداية على المولد ونشأة هذه الشخصية، ومعرفة أصوله الحقيقية و محاولة معرفة مساره الدراسي، وما هي المدارس التي التحق بها وما هي الصعوبات التي واجهته خلال مساره التعليمي. وكيف استطاع الحبيب بورقيبة استكمال دراسته رغم الفقر والحرمان والظلم الذي شهده من الاستعمار الفرنسي في تونس، بالإضافة إلى ذلك محاولة اكتشاف الآثار السياسية والفكرية التي تركها الحبيب بورقيبة قبل وبعد الاستقلال، نجد بورقيبة حاول أن يحدث تغييرا عصريا في المجتمع التونسي والتي كانت ردة الفعل عليها قوية، سواء في تونس أو خارج تونس. بالإضافة إلى الآثار الفكرية التي خلفها والتي تتمثل في العديد من الكتب والمقالات التي تتحدث بالتفصيل على مولده ونشأته ونضاله داخل الحزب الدستوري الجديد وكذلك نضاله بعد الاستقلال والاطلاع عليها كان كافي المعرفة هذه الشخصية معرفة كلية، ليتم في الأخير التطرق إلى وفاة هذه الشخصية بعد مسار طويل من النضال والتي امتدت أكثر من 60 سنة.

المبحث الأول: مولده ونشأته

ولد "الحبيب بورقيبة" في المنستير في (03 أوت1903)[1] وهو ثامن إخوته وكان أصغرهم. لم يولد "بورقيبة" كبقية إخوته في تلك الدار التي تجمع أبناء الحاج محمد وزوجاتهم وإنما ولد بدار أخرى في حي «القرايعية» خارج حومة الطرابلسية بعد أن اكتراه والداه مفضلا الانسحاب من الشجار والخصومات، ووالده هو "علي بن الحاج محمد بورقيبة" فقد ولد حوالي سنة (1850) وتوفي في (ديسمبر 1925). وأمه فهي "فطومة خفاشة" ولدت سنة(1865) وتوفيت في (17 نوفمبر 1913) وهي ابنة للسيدة خدوجة مزالي، وهذه الأخيرة تنحدر من سوس المغرب وهي التي رتبت زواج ابنتها "بعلي" والد "الحبيب بورقيبة"، وإذا عرفنا أن جد "الحبيب بورقيبة" قادم من مصراتة "ليبيا"، وأن الجدة "خدوجة مزالي" قادمة من بلاد السوس البربرية في المغرب، ومنه نستنتج أن "الحبيب بورقيبة" لم يكن من أصول تونسية، لا من جهة الأب ولا من جهة الأم[2]، ولم يتنكر "الحبيب بورقيبة" لجذوره الليبية الذي ردده مرارا من أن عائلته قدمت من ليبيا وعائلة بورقيبة من "كراغلة" مصراتة. هاجر جدهم عبر البحر إلى تونس سنة (1795) بسبب ضغوط سياسية القرمانليين. وتذهب بعض الآراء الأخرى أن عائلة "بورقيبة" لم تكن من أهالي مصراتة الأصليين حيث تذهب بعض الآراء أن جذور هذه العائلة ألبانية، فيما يؤكد أنها من أصل يوناني من جزيرة "صالونيك". وكثيرا ما افتخر "بورقيبة"(أنظر الملحق رقم 06)، بعيونه الزرقاء، وكثيرا ما كان يتساءل هل هو من أصل عربي أم من أصل أوروبي[3].

---

[1] عبد الوهاب الكيالي :**موسوعة السياسة**، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، د س، ص157.

[2] الصافي سعيد :**بورقيبة سيرة شبه محرمة**، رياض الرياس للنشر، بيروت، 2000، ص ص33،31.

[3] عز الدين معزة :**فرحات عباس و الحبيب بورقيبة دراسة تاريخية و فكرية مقارنة 1899-2000**.أطروحة دكتوراه:التاريخ الحديث والمعاصر : قسم التاريخ :جامعة منتوري ، قسنطينة ،2010 ،ص94

المبحث الثاني: تعليمه

التحق الطفل "الحبيب بورقيبة" في سنة (1907) بالمدرسة الصادقية، حيث تكفل به أخوه محمد الذي كان يسكن تونس العاصمة ويعمل كمترجم في الإدارة الفرنسية، وكانت الصادقية قد بدأت تعطي ثمارها لتحديث المجتمع في ذلك الوقت والتي ولدت في أحضان مجموعة من المثقفين أمثال "علي باش حانبه" و"علي بشوشة"، تلك المدرسة التي اندمج فيها "الحبيب بورقيبة" دون أن ينسى أبدا أنه قادم من الضواحي ولذلك فقد تعلم الحذر مبكرا إلى جانب التحدي[1]. كانت دراسته الابتدائية صعبة جدا عانى فيها الفقر، وسوء التغذية. ويقول عن ذلك:« هكذا قضينا صبانا في سنوات التعليم الابتدائي، وكان والدي يأتي إلى تونس في بعض الأحيان وفي إحدى هذه الزيارات القليلة إلى العاصمة جاء إلى الصادقية ليرى إن كنت جادا في الدرس، كما كان يوصيني دائما، يقابل القائم العام للمدرسة سيردون الذي دعاني من قاعة المذاكرة فوجدت أبي معه وعلى الفور قال له سيردون: إن ابنك كثير الهرج، قالها ثلاث مرات فسأله أبي إن كنت مجتهدا في الدرس، فأجابه: بان مثابرتي على الدراسة لا بأس بها. فقال له أبي: إذن دعه يهرج ما شاء. » [2]

تحصل "بورقيبة" على شهادة الابتدائية في العام الذي توفيت أمه سنة (1913). دخل بورقيبة إلى الثانوية إلى قسم الصف الأول بمساعدة "الطاهر

---

[1] الصافي سعيد: مصدر سابق، ص39.

[2] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص106.

زويتن"، ليكون في الصف نفسه الذي يوجد به "الطاهر صفر* الذي تأثر به "الحبيب بورقيبة" تأثيرا كبيرا.[1]

ولكن بعد أسبوعين قبل "بورقيبة" أن يعود إلى القسم لأنه غير قادر على متابعة دروس القسم الأول. واصل "بورقيبة" الدراسة في ثانوية كارنو، حيث نجد أنه كان دائما يفضل الرياضيات ويحضر دروس التاريخ والجغرافيا ويتعمد الغياب عن دروس الفرنسية، لم يكن بورقيبة يكره هذه اللغة لاعتقاد أنه يتقنها كما لا يتقنها غيره من الزملاء بالإضافة إلى شغفه المبكر بالمسرح وعالم التمثيل مما يجعله متغيبا دائما عن دروس مادة الفرنسية ليتحصل بورقيبة على الجزء الأول من البكالوريا وكان ذلك بفضل تفوقه في مادة الحساب، ولقد كان الاعتقاد من زملائه أنه سيختار شعبة الرياضيات للتقدم إلى الجزء الثاني من البكالوريا[2] وبعد حصوله على الجزء الثاني من البكالوريا سنة (1924) وفي امتحان البكالوريا اختار "الحبيب بورقيبة" موضوعا في الفلسفة يتعلق بالأخلاق ونال عليه علامة متفوقة.

لقد أمضى "الحبيب بورقيبة" 12 سنة في المرحلة الثانية من التعليم، وهذا يعني أنه أمضى ضعف السنوات المطلوبة للوصول إلى البكالوريا، ويعود هذا أما بسبب

---

* الطاهر صفر: من مواليد المهدية سنة 1903 وبها تلقى تعليمه الابتدائي. التحق بالمدرسة الصادقية، ثم تابع دراسته بمعهد كارنو، التحق بباريس و واصل دراسته العليا في كلية الآداب و كلية الحقوق. في سنة 1918 انخرط في سلك المحاماة بتونس العاصمة وساهم في تحرير جريدة "صوت التونسي". شارك في مؤتمر بعث الحزب الدستوري الجديد المنعقد بمدينة قصر الهلال و ساهم في تحرير جريدة العمل، لسان الحزب، و اعتقل مع الزعيم بورقيبة إلى برج البوف في أقصى الجنوب التونسي. أفرج عنه سنة 1935، و عاد إلى نشاطه الوطني و اعتقل من جديد سنة 1938 و عرف محنة السجون وكان خطيبا و كاتبا و محاضرا في شؤون الفكر و الوطنية و الاقتصاد إلى أن توفي في 9 أوت 1942. أنظر محمد بوذينة: **أحداث العالم في القرن العشرين 1940-1949،ج5** ص90.

[1] الصافي سعيد : مصدر سابق، ص42.

[2] الصافي سعيد : مصدر نفسه ص ص 45-46

المرض الذي أصيب به وجعله يتعطل عن الدراسة لمدة سنتين أول أسباب مادية[1]لينقل "بورقيبة" إلى باريس لدراسة الحقوق[2] مفضلا إياها على جامعة الجزائر ويذكر "الحبيب بورقيبة" في محاضراته أنه لما اقترح عليه شقيقه محمد الدراسة بالجزائر أجابه قائلا:« ...اطلعت شقيقي على اعتزامي الالتحاق بالتعليم العالي لا في الجزائر بل في باريس لأنني مصمم على استطلاع ما يجد في باريس وفي أوساطها السياسية من برلمان وأحزاب وغيرها، وعلى التعرف إلى سر الأجهزة الإدارية والحكومية لأني مقبل على أمر أكبر شأنا من القناعة بشهادة البكالوريا أو مواصلة الدراسة في تونس فحسب » [3].

تحصل "بورقيبة" على منحة قدرها (1800) فرنك سنويا تدفع له مرتين ولذلك فمباشرة اتجه إلى تسجيل نفسه بالسوربون لمتابعة دروس علم النفس والأدب إلى جانب دروس الحقوق. كان "بورقيبة" مفتتنا بالفلسفة والآداب وكذلك بالعقل الغزلي فقد كان مصرا على إكتشاف تلك الحضارة التي بنت تلك المدينة العظيمة[4]، كما كان معجبا بالقائد التركي "مصطفى كمال أتاتورك "وبزعيم الاشتراكية الفرنسي "جون جورجيس"، كان "بورقيبة" متحمسا للعمل أكثر من الإيديولوجيا، كما قال عن نفسه لاحقا، والعبارة التي قرأها على تمثال "أوغست كونت": « لنحيا من أجل الغير » المنتصب في ساحة السوربون.

وقبل أن يخطو "بورقيبة" الخطوات الفعلية نحو العمل السياسي كان يلقب بالحيوان السياسي الأول في بلاده لأنه تأخر في الاندفاع نحو السياسة فهو لم يقترب

---

[1]عز الدين معزة: مرجع سابق، ص108.

[2] مقيد الزيدي: **موسوعة التاريخ العربي المعاصر و الحديث**، دار أسامة، الأردن، 2004، ص235.

[3] عز الدين معزة، مرجع نفسه، ص109.

[4]الصافي سعيد: مصدر سابق، ص63.

كما فعل بعض رفاقه من أوساط نجم شمال إفريقيا بالرغم أنه انضم إليها بعض زملائه كالطالب "الطيب الدبابي" و"البحري قيقة" و"الطاهر صفر". فإن "بورقيبة" لم ينضم إلى هذا الحزب وهذا نتيجة الحذر مما يؤهله الوقوف دائما في الوسط، وفي باريس تزوج "بورقيبة" بأرملة جندي فرنسي "ماتيلدا" وهي تكبره بـ:12 سنة وأنجب منها ابنه الوحيد "الحبيب الابن"، وفي(سبتمبر 1926) وهو في عطلة في تونس توفي أبوه وحضر جنازته ثم عاد إلى باريس لإستئناف الدراسة ثم دخل المدرسة الحرة للعلوم السياسية وبذلك يكون "بورقيبة" قد جمع بين علم النفس والحقوق والفلسفة والعلوم السياسية ثم علوم الصحافة. وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق عاد إلى تونس ليمارس مهنة المحاماة وضل يشغل في هذه المهنة وفي نفس الوقت يمارس السياسة والنشاط الصحفي[1].

المبحث الثالث: حكمه

بعد توقيع معاهدة الاستقلال التام يوم (20 مارس 1956) واصل "بورقيبة" تألقه حيث أصبح وزيرا أولا، وشرع في التخطيط للانقلاب على "الأمين باي"[2] البالغ من العمر نحو 76 سنة والذي يمتلك المجد، لكنه لم يعد يمتلك القوة، ولقد لاحظ "الملك بن سعود" ذلك جيدا خلال زيارته الرسمية لتونس في (23 فيفري 1957) فلاحظ أنه يتحدث إلى رجل يقترب من الموت.

والذي صدمه أكثر معاملة "بورقيبة" للباي إذ كان يتكلم بصوت عال أمامه وهو يشير بيده في جميع الاتجاهات فأدرك أن الرجل القوي هو "بورقيبة"، كان هذا

---

[1] قدادرة شايب: **الحزب الدستوري التونسي الجديد و حزب الشعب الجزائري (1934-1954) دراسة مقارنة**. أطروحة دكتوراه: قسم تاريخ: جامعة منتوري، قسنطينة، ص139.

[2] قدادرة شايب: مرجع نفسه، ص149.

الأخير في البداية لا يعرف من أين يبدأ في قضم تلك العائلة وقد فكر في انقلاب لكنه تراجع عن تلك الفكرة، واهتدى إلى أسلوبه القديم التدرج بخطواته الصغيرة أو ما يعرف بسياسة المراحل، وبعد الجولة الخارجية التي قادته إلى غانا وغينيا والمغرب بصفته رئيسا للوزراء كان بورقيبة قد استعد جيدا لإعلان حملاته ضد العائلة المالكة حيث تكلمت بعض الصحف عن أملاك العائلة التي لا تحصى وعن تجاوزات بعض أفراد العائلة للسلطات، ومنها رأى بورقيبة أن جل تلك الأخبار المثيرة قد أدمنها كثير من الناس، شعر بأن الوقت قد حان لطرح تلك المسائل والتجاوزات للنقاش في المجلس التأسيسي فاصدر مجموعة من القرارات للحد من تلك التدخلات ورفع الأوقاف عن بعض أملاك العائلة، ليقترب بورقيبة أكثر من الهدف ليكشف عن النصف الآخر من الحقيقة فتكلم عن الفساد الذي يغرق فيه القصر والانحرافات التي يعيشها الأمراء وختم تدخله في المجلس التأسيسي « قريبا ستحين ساعة الحساب »[1].

وحسب شهادة "أحمد المستيري" وهو وزير العدل والمالية والداخلية في حكومة "بورقيبة" أنه أقدم على تنحية "الباي" أولا لتحقيق طموحاته الشخصية وأن هناك أسباب سياسية كان يخشى منها، كخوفه من أن يعزله الباي، وكذلك خوفه من العلاقات الوطيدة بين "صالح بن يوسف" وابن الباي "شاذلي باي" من التآمر عليه[2]لتأتي ساعة الصفر. حددت في الساعة السادسة من يوم (25 جويلية 1957) ففي ساعة الخامسة وخمسة وخمسون دقيقة ختم "بورقيبة" خطابه معلنا عن ميلاد الجمهورية وقد عرف الباي من خلال الراديو أنه أصبح رجلا عاديا من عامة

[1] الصافي سعيد، مصدر سابق، ص212.

[2] احمد المستيري: **شاهد على العصر**، ج4 ، تقديم أحمد منصور ، قناة الجزيرة، قطر، 2013/12/12.

الشعب، وفي الساعة السادسة وصل للقصر كل من "إدريس قيقة" مدير الأمن وإلى جانبه "علي بهلوان" نائب رئيس المجلس التأسيسي وهما المكلفان بإبلاغ الباي بقرار العزل، والذي تلاه "علي البهلوان"* ثم طلب هذا الأخير من الباي أن يكتفي بقراءة قرار العزل بصوته على مبعوثي الإذاعة الذين حضروا مع الأمن، لكن الباي رفض ذلك طالبا منهما إبعاد الصحافيين والمصورين لأنه لن يفعل ذلك، وبعد قراءة القرار طلب "إدريس قيقة" من الباي أن يستعد للخروج وهو يقول له:« لقد تم إعداد إقامة خاصة لك وبمستوى مقامك مؤمنة بالحماية و بجميع احتياجاتك »، لكن "بورقيبة" لم ينس أن جده قد عذب في سجون "الصادق باي"، وأن والده علي خدم في معسكر الباي 19 عاما وحمل "البردعة" على ظهره كالحمير فبعد شهر من عزل الباي أصدر "بورقيبة" قرار تم بموجبه نزع كل أملاك العائلة المالكة، وجاء هذا عكس ما قاله أنه لم يلتجئ إلى الانتقام، و لكنه فعل مع عائلة الباي أكثر من الانتقام[1]. ليتفرغ بعدها "بورقيبة" لتطبيق مشاريعه السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ففي (1 جوان 1959) تم وضع دستور جديد في تونس كرس بشكل مطلق النظام الرئاسي، حيث أصبح الرئيس "بورقيبة" يتمتع بصلاحيات واسعة. ونص الدستور الجديد على انتخاب الرئيس كل خمس سنوات مع إمكانية انتخابه ثلاث مرات متتالية، ونص الدستور الذي وضع في (جوان 1959) وهو الدستور الأول على أن

* علي البهلوان: هو من مواليد (1909) بتونس تلقى تعليمه في الكتاب حيث حفظ القرآن. التحق بمدرسة خير الدين الابتدائية خرج منها محرزا على الشهادة الابتدائية، ثم التحق بالمدرسة الصادقية و خرج محرزا على شهادة في عام 1931، ثم إلتحق بجامعة السوربون، انخرط في جمعية نجم شمال إفريقيا و قدم به خدما جما، و بعد تخرجه رجع إلى بلده و عين أستاذا بالمدرسة الصادقية في سنة 1935 فبث روحا جديدة في تلاميذه قوامها الفكرة الوطنية، و الاعتزاز بالشخصية القومية ليتعرض للاعتقال لتواصل مسيرة كفاحه فاشرف على العديد من المناصب إلىأن توفي بتاريخ 09 مارس 1958 و من مؤلفاته: الاقتصاد التونسي–تصميم العاصمة–تونس الثائرة...الخ. أنظر محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، مرجع سابق ، ص ص121،118.

[1] الصافي سعيد، مصدر سابق، ص219.

الرئيس التونسي له الصلاحيات في رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية واختيار أعضاء الحكومة وتولي القيادة العليا للجيش، والقيام بالتعيينات بجميع المراكز المدنية والعسكرية، وفي (08 نوفمبر 1959) أعيد إنتخاب "بورقيبة" رئيسا للدولة بدون منافسة. وقد أظهر "بورقيبة" شراسة شديدة في مواجهة خصومه السياسيين حتى لو كانوا رفاقه في الكفاح، ومنهم "صالح بن يوسف" الخصم اللدود "لبورقيبة" المدعوم من الشرق خاصة "جمال عبد الناصر"[1].

فحسب شهادة "أحمد المستيري" أن "بورقيبة" كلف "بشير زرق العيون" بقتل "صالح بن يوسف(انظر الملحق رقم 07)، وقد تم ذلك في سنة (1961) بفندق بفرانكفورت بألمانيا. وقد صرح "بورقيبة" هذا بنفسه أنه فعل ذلك ردا على "صالح بن يوسف" عندما بعث شخص لقتله، وفي (20 ديسمبر 1962) إكتشف محاولة إنقلابية تعد من الجيش وهم بعض الضباط الذين درسوا في الشرق ليتمكن من إفشالها قبل يومين وقبض على (40 ضابطا) و(100من مدنيين) وحكم بإعدام على (5 عسكريين) و(6 مدنيين)[2] وفي نفس السنة سيختار "بورقيبة" تاريخ (12 أبريل 1962) أن يتزوج "وسيلة بن عمار" بعد أن طلق زوجته الأولى الفرنسية "ماتيلدا" وسرعان ما أخذت هذه الزوجة الجديدة المنحدرة من عائلة برجوازية دورا هاما في قصر قرطاج، فقد عاب عليها البعض مساعدتها على قمع عائلة الباي وضرب الطبقة العريقة في العاصمة[3].

---

(1) يحيى أبو زكريا: **الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبي إلى الغنوشي**، د.ن، د.ب، 2003، ص23.

(2) احمد المستيري: **شاهد على العصر**، ج 5 ،تقديم أحمد منصور، قناة الجزيرة، قطر، 2013/12/19.

(3) الطاهر بلخوجة: **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على عصر**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999، ص12.

في سنة (1962) تدهورت العلاقات الجزائرية التونسية بسبب خلاف الأيدولوجيات، حيث كان "الحبيب بورقيبة" مغرقا بإعجابه بالعلمانية الغربية، أما "أحمد بن بلة" فهو يميل إلى الخط الناصري الثوري، ففي (جانفي 1963) إستدعت تونس سفيرها بالجزائر بحجة تواطؤ الجزائر مع عناصر عسكرية تابعة "لبن يوسف" حاولت اغتيال "بورقيبة" في تونس[1]، وفي (3 مارس 1965) ألقى "الحبيب بورقيبة" خطابه التاريخي في أريحا الذي دعا فيه اللاجئين الفلسطينيين إلى عدم التمسك بالعاطفة وإلى الاعتراف بقرار التقسيم لسنة (1947)[2]، وقد ثارت ثائرة مصر على تلك التصريحات، وانزعجت الجماهير العربية وكان من نتاج ذلك أن قامت حملة إعلامية ضد "بورقيبة" أدت إلى إحراق السفارة التونسية في مصر، فقام "بورقيبة" بقطع علاقات بلاده مع الجامعة العربية التي لم تحرك ساكنا خلال هذه الأزمة[3]. أما على الصعيد الداخلي، فان "بورقيبة" لم يكرس مبدأ التداول على السلطة، ولم يفسح المجال أمام الأحزاب السياسية بالعمل السياسي. وفي سبتمبر (1974) انتخب المؤتمر التاسع للحزب الدستوري الحبيب بورقيبة رئيسا للحزب مدى الحياة، ليعيد في (نوفمبر 1974) انتخاب "بورقيبة" رئيسا للدولة التونسية بدون منافس[4]، وهذا بعد أن أقصى كل خصومه ومعارضيه والقائمة تبدأ من مرحلة ما قبل توليه رئاسة البلاد ومرحلة الرئاسة حتى جعلت العالم النفساني التونسي "سليم عمار" يصفه «بآكل

---

(1) يحيى أبو زكريا، مرجع سابق، ص84.

(2) احمد نصير :**الحبيب بورقيبة الثائر الديكتاتور**، **جريدة الرأي**، ع 13028، نشر يوم 2009/09/19، الزيارة يوم 2015/03/03، الرابط الإلكتروني: www.alrai media.com.

(3) الطاهر بلخوجة: مصدر سابق، ص 19.

(4) يحيى أبو زكريا، مرجع نفسه، ص25.

الرجل رمزيا »[1]. حيث عاشت المعارضة التونسية أسوء أيامها في هذه المرحلة. ففي (1974) صدرت أحكام بالسجن ضد (175) شخصا أغلبهم طلاب بعثيون وماركسيون وإسلاميون بسبب انتمائهم إلى فصائل سياسية غير معترف بها، بحكم أن تونس يحكمها حزب واحد وهو الحزب الدستوري الاشتراكي.

ومن الأحداث التي وقعت سنة (1974) والتي كادت أن تقلب الأوضاع السياسية رأسا على عقب، وتمثل في أن أعلن "الحبيب بورقيبة"، والعقيد "معمر القذافي"، عن وحدة سياسية بين تونس وليبيا، وعلى أن يكون بورقيبة رئيسا للدولة الموحدة و"القذافي" نائبا له، لكن هذا المشروع فشل بسبب المعارضة الدائمة للحبيب بورقيبة لتستمر هذه المعارضة لهذا الأخير، فقد وقع إضراب عام (1975) في الجامعة التونسية ووقعت أثناءها اشتباكات عنيفة بين قوات الأمن والطلاب التونسيين، لتنتعش المعارضة الليبرالية التي تعتبر "أحمد المستيري" أبرز أعضائها وأبرز حدث داخلي شهدته تونس منذ استقلالها في عهد "الحبيب بورقيبة" هو الانفجار السياسي الذي شاركت فيه النقابات العمالية حول قضايا سياسية واجتماعية متعددة، وقد بلغ الانفجار ذروته يوم (26 جانفي 1978) الذي سمي بـ"الخميس الأسود" حينما خرج الجيش التونسي من ثكناته إلى الشوارع و أدت المواجهات بينه وبين المتظاهرين إلى سقوط العشرات من القتلى[2].

إن هذه الأحداث التي مرت تدل على فشل المشاريع السياسية التي أتى بها "بورقيبة" وفرضها على المجتمع التونسي فرضا بكل الوسائل والطرق، حتى يجعل من نفسه أسطورة وأنه المخلص الوحيد لتونس من الاستعمار الفرنسي، لم تتوقف تلك

---

[1] عبد الجليل معالي :**في عيد الاستقلال محاكمة التاريخ بوعي الحاضر**، **جريدة العرب**، ع 9504، نشر يوم 2014/03/21، الزيارة يوم 2015/03/03، الرابط الإلكتروني :www.alarb.com.

[2] يحيى أبو زكريا، مرجع سابق، ص ص25-26.

الهزات عند الميدان السياسي بل شملت كل المجالات على غرار المجال الاقتصادي والثقافي، الذي أصابه الفشل كذلك.

أما على المستوى الثقافي، بدأ "بورقيبة" منذ أيام حكمه الأولى يُظهر إفتتانه بالحضارة والثقافة الغربية، وانبهاره بمبادئ الثورة الفرنسية، وبشخصية "شارل ديغول" و"مصطفى كمال أتاتورك"، فكرس جهوده لتطبيق المشروع العلماني في تونس فاصدر بعد ثلاثة أشهر فقط من الاستقلال "مجلة الأحوال الشخصية "* حيث بدأ يصدر التشريعات التي تعيد تشكيل المجتمع التونسي وفق الرؤية الفرنسية، وهكذا بدأت تتوالى التشريعات المخالفة للإسلام منذ الأيام الأولى لحكم "بورقيبة"، حيث لجأ إلى تجميد دور جامع الزيتونة الذي لعب دورا كبيرا في تحرير تونس، وبطش بأبناء الحركة الإسلامية، وشوه صورتهم وشردهم وسن قوانين تمنع ارتداء الحجاب، واعتبره زيا طائفيا يشجع على الانقسام داخل المجتمع، وجفف منابع التدين وبدل المناهج وثارعلى الأعراف وحارب التقاليد. وقد صرح "بورقيبة" أن القرآن مليء بالمتناقضات لذلك حاول تبديل أحكام الله وسن قوانين أخرى أكثر تطورا وتناسبا مع المجتمع وحاجاته كما يدعي.

كما دعا "بورقيبة" سنة (1956) إلى منع الصوم على الشعب التونسي في شهر رمضان بدعوى أن الصوم يقلل الإنتاج و يعيق تقدم تونس ونهضتها، حتى الصلاة لم تسلم هي الأخرى فقد ضيق على المصليين، وعلى الخطباء الذين ألزمهم بتوحيد الخطب، وكانت أغلب تلك الخطب تتحدث عن أهمية الحفاظ على قواعد السير والمرور بالطرق تجنبا للحوادث التي تحدث خاصة في الصيف، وكيفية انتعاش السياحة الداخلية والخارجية، وتختم الخطبة بالدعاء للرئيس ولوزير الداخلية

* مجلة الأحوال الشخصية: مجموعة القوانين الاجتماعية التي صدرت في تونس 13 أوت 1956.

ورجال الشرطة، والمساجد بتونس كانت تخضع لنظام صارم يقضي بفتحها أمام المصلين في أوقات الصلاة فقط ويتم بعدها إغلاقها فورا، ولا يسمح لأي مصل البقاء داخل المسجد، ولا يسمح عقد أي تجمع داخل المسجد تحت أي مسمى[1] .

أما على المستوى الاقتصادي لقد كانت مهمة الانتقال من إقتصاد إستعماري إلى إقتصاد مستقل صعبة نسبيا وبطيئة، لأن الحكومة سعت إلى تحقيق هذا الهدف دون أحداث قطعية نهائية وجذرية مع فرنسا إجمالا. كان مسعى الحكومة التونسية في تركيز أسس إقتصاد وطني إيجابي، وكانت الإنجازات ملموسة من ذلك نجحت الحكومة إلى الحد من التبعية الاقتصادية، وأهم إجراء قامت به هو تأميم كافة أراضي المعمرين الفرنسيين بتونس التي تبلغ مساحتها قرابة 800 ألف هكتار، وكان ذلك يوم (12 ماي 1964)[2]ومن النجاحات كذلك تحقيق استقلال نقدي بإحداث البنك المركزي التونسي في (18 سبتمبر 1958)، وبعث وحدة نقدية تونسية وهي الدينار وفي (18 أكتوبر 1958)، تم الانخراط في صندوق النقد الدولي والبنك العالمي[3]. فرغم ميولات "الحبيب بورقيبة" الغربية فإنه تبنى في مطلع الستينات النهج الاشتراكي كنظام سياسي واقتصادي، لم يكن هذا الاختيار الذي انتهجه "بورقيبة" ناتجا عن قناعته السياسية، بقدر ما كان ضرورة حتمها واقع اقتصاد البلاد الضعيف في تلك الفترة، فقد كانت النتائج الاقتصادية ضعيفة، فاحتاج هذا الوضع الاقتصادي إلى إصلاح عاجل، وكان "أحمد بن صالح" الذي كان مسؤولا عن

---

[1] راغب السرجاني: **قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011**، ط3، دار أقلام للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 2011 ص ص43،38.

[2] خليفة الشاطر و آخرون: مرجع سابق، ص182.

[3] إبراهيم الفاعوري: **تاريخ الوطن العربي**، دار الحامد للنشر و التوزيع، الأردن، 2011، ص84.

النقابات استطاع أن يقنع "الحبيب بورقيبة" بانتهاج النظام الاشتراكي للنهوض بالاقتصاد التونسي، فقبل بورقيبة هذا النظام وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

- التحرر الاقتصادي.
- ترقية الإنسان التونسي.
- تطوير البنى التي تسمح بتحقيق التنمية الجهوية.
- التنمية الذاتية وعدم الاعتماد على المساعدات الخارجية.

وقد وصف "أحمد بن صالح" إشتراكية تونس بأن هدفها الأساسي هو تحقيق رغبات الشعب التونسي، وشرع بعدها هذا الأخير في تنفيذ تجربته القائمة على تعايش ثلاثة قطاعات، واحد حكومي وآخر خاص، وثالث مشترك بين الخواص بمشاركة وتخطيط الدولة أو ما يسمى بسياسة التعاضد[1].

فأخذ "بورقيبة" يحث الشعب التونسي على دخول الجهاد الأكبر، هذه المعركة الجديدة للتنمية التي لا تقل عن الجهاد الأول السياسي، وقد أعلن "بورقيبة" في تونس العاصمة في شهر (فيفري 1963):« إن المعركة ضد التخلف هي نضال في سبيل كرامة البشر وحب الوطن، وفي هذه الظروف يفرض الواقع علينا أن نحد من الحريات ومن امتيازات الملكية وينبغي أن نستخدمها لبلوغ إنتاجية أفضل ومردودية أعلى لفائدة مجموع المواطنين». وعندما تعرض للنقد أجاب قائلا في خطابه في صفاقس في (جوان 1963)« أمام أولئك الذين يقومون بالدفاع عن الحرية الفردية والقطاع الخاص وحرية النشاط الاقتصادي، فإننا نقول لهم أن التخطيط يخدم مصلحة الجميع، وفي وضعنا الراهن فلا نجاعة إلا للعمل الجماعي ». ولكن هذه

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص419.

السياسة الاقتصادية لم تلق تجاوبا من الجميع مما اضطر "الحبيب بورقيبة" إلى وضع حد نهائي لها، ففي (22 سبتمبر 1969) أقر مرسوم جمهوري للتخلي عن التجربة التعاضدية، وقام بعزل "أحمد بن صالح"[1]وثم إحالته للمحكمة العليا بتهمة سوء التصرف الاقتصادي، والقيام بتجاوزات وأخطاء في التصرف المالي، وخرق الدستور والقوانين، واستغلال ثقة الرئيس. وبذلك حملت مسؤولية فشل التعاضد "لأحمد بن صالح" وستة أشخاص آخرين، حتى يقع الالتفاف على تلك الأزمة وتخفيف الأضرار السياسية والشروع في تكريس اختيار اقتصادي واجتماعي جديد بواسطة أجهزة متماسكة، مما سمح بالدخول في مرحلة جديدة من تاريخ تونس المعاصر[2]وترك "الحبيب بورقيبة" النظام الاشتراكي يمد لإنقاذ حكمه، ولكن الأمور عادت إلى حالها فضاعت فرصة الديمقراطية في تونس[3].

لينتهي الوضع في تونس ليس بانهيار اقتصادي فقط، بل تبعه انهيارات أخرى على الصعيد الثقافي والاجتماعي، والسياسي، حتى باتت السلطة محل انتقاد من كل التيارات السياسية التونسية، بمختلف انتماءاتها الأيدولوجية، وفي تلك الفترة التي كان نجم "بورقيبة" يبدأ بالأفول بسبب المرض، ظهر شخص آخر وهو "زين العابدين بن علي" الذي لم يكن معروفا إلا على مستوى الأجهزة الأمنية التونسية، حيث تمكن من التدرج، وبشكل سريع في المنظومة الأمنية التونسية حتى أصبح أحد المقربين إلى"الحبيب بورقيبة" الذي عينه في أكثر المناصب حساسية وخطورة، ومن المناصب التي تقلدها هو وزير للداخلية وأوكلت إليه معظم الملفات الثقيلة، ومنها ملف حركة النهضة الإسلامية في تونس التي كان يتزعمها "راشد الغنوشي" وتولى "زين العابدين"

---

(1) الطاهر بلخوجة: مصدر سابق، ص89.

(2) عز الدين معزة: مرجع سابق، ص420.

(3) خليفة الشاطر و آخرون: مرجع سابق، ص191.

مناصب أخرى مما تسمح له بالاطلاع بدقة على تفاصيل الحكم في تونس. وكان بين الحين والآخر يبادر إلى اتخاذ القرارات وخصوصا عندما اشتد مرض "الحبيب بورقيبة"[1]. ففي (07 نوفمبر 1987) قام بتنحية الرئيس، أو ما يسمى بالانقلاب الأبيض وذلك بعد أن استند إلى تقرير طبي لأشهر الأطباء في تونس، لإثبات عدم قدرة "بورقيبة" على تسيير البلاد[2]، وأصبح يوم (07 نوفمبر) يوم وطني يحتفل به احتفالا رسميا. أما الرئيس "بورقيبة" الزعيم، المجاهد الأكبر فقد ظل في إقامته الجبرية في قصر "مرناق" بضواحي تونس العاصمة[3].

المبحث الرابع: الآثار الفكرية للحبيب بورقيبة

ترك "الحبيب بورقيبة" آثار متنوعة شملت فترة نضاله خلال الحركة الوطنية وطوال فترة حكمه التي استمرت ثلاثين عاما، فقد كان معجبا بشخصه ومكانته في تاريخ تونس، لذلك عمل بكل ما يملك من طاقة ذاتية وإمكانيات الدولة التونسية على تمجيد نفسه محاولا بذلك أن يمنح شخصيته طابع القدسية فهو "الزعيم"، "والرئيس الأبدي"، "والمجاهد الأكبر"، "ومحرر تونس" "ومحرر المرأة."

ومن أهم الآثار المتنوعة التي تركها الحبيب بورقيبة الآثار المكتوبة. سعى "الحبيب بورقيبة" إلى تسجيل سيرته الذاتية والنضالية بشكل متواتر وأحيانا مكرر والهدف من ذلك حسب قوله:« لكي نتعرف على هذا الشخص الذي أخرج فرنسا من تونس وقام بهذه المعجزة التي كانت تعتبر حلما من الأحلام، أرى من الواجب أن نطلع على الأسباب والمسببات وعلى التأثيرات التي طبعته، ومنها اللاشعوري وربما

---

[1] يحيى أبو زكريا، مرجع سابق، ص51.

[2] راغب السرجاني: مرجع سابق، ص53.

[3] قدادرة شايب: مرجع سابق، ص149.

كان لما يطرق سمعه زمن الصغر والظروف التي عاش فيها، وزوال دراسته في كنفها حتى اشتد ساعده واكتمل إدراكه ضلع في تكوين الروح الوطنية التي ظلت ملازمة له طوال حياته وهي التي حببت إليه دخول المعمعة ».

لهذه الأسباب كان حريصا على تسجيل سيرته الذاتية فقد جمع كل ما قام بكتابته من مقالات في الصحف والمجلات ومن رسائل سياسية أو شخصية أو عائلية في كتابه الحبيب بورقيبة بين تونس وفرنسا كفاح مرير طيلة ربع قرن في سبيل التعاون حيث سجل "الحبيب بورقيبة" كل نشاطه السياسي خلال مرحلة الحركة الوطنية[1].

و من الكتب التي تركها "بورقيبة"، كتاب بعنوان "حياتي أعمالي" حيث قسمه إلى خمسة أجزاء و هي:

- الجزء الأول: من الفترة (1929–1933)، تكلم فيه عن مولده وعائلته ودراسته ومقالاته الأولى في الصحف، وتكلم عن نضاله السياسي خلال هذه الفترة.
- أما الجزء الثاني: من الفترة (1934–1938)، تحدث فيه على نضاله خلال هذه المرحلة و موضحا بالتفصيل ما حدث في قصر هلال والأسباب التي أدت إلى انشقاق الحزب الحر الدستوري و ظهور الحزب الحر الدستوري الجديد.
- أما الجزء الثالث: من الفترة (1938–1943)، تعرض في هذا الجزء الأحداث التي مرت بها تونس مركزا على أحداث (09 أبريل 1938)

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص127.

ومطالب الوطنيين التونسيين وتأييده للمطالب الوطنية مما عرض ذلك للسجن والنفي، وتكلم فيه على سير أحداث الحرب العالمية الثانية وموقفه من الكتلتين المتصارعتين وتفضيله للحلفاء على المحور.

- والجزء الرابع من الفترة (1944–1951)، تحدث فيه على فشل سياسة الحماية الفرنسية في تونس محللا أسباب الفشل وتأثيره الخطير على المجتمع التونسي المسلم ومستعرضا نضاله السياسي ووقوفه في وجه السياسة الاستعمارية.
- أما الجزء الأخير وهو الخامس من الفترة (1952–1956)، تكلم فيه عن الثورة المسلحة في تونس ودوره فيها والمفاوضات مع فرنسا وأسباب خلافه مع صالح بن يوسف وحصول تونس على استقلالها الداخلي.

ومن مؤلفاته أيضا كتابه "حياتي أرائي جهادي" جمع كل الخطب التي ألقاها أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار حول تاريخ الحركة الوطنية التونسية والتي بدأها بسيرته الذاتية ونضاله إلى إعلان قيام الجمهورية التونسية سنة (1957).

وفي كتاب آخر للحبيب بورقيبة تحت عنوان "من أجل السلام في الجزائر" وهو كتاب نشره مكتب التوثيق سنة (1959) لدعم القضية الجزائرية وثورتها، وانتقد فيه "الحبيب بورقيبة" سياسة الجنرال "ديغول" في الجزائر بسبب رفضه التفاوض مع جبهة التحرير الوطني ولجوئه إلى القوة العسكرية للقضاء على الثورة الجزائرية.

هذه أهم الكتب التي تركها "الحبيب بورقيبة" مستعرضا فيها سيرته الذاتية ونضاله وخطبه سواء أثناء مرحلة الحركة الوطنية أو مرحلة بناء الدولة الوطنية[1].

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص ص128–129.

المبحث الخامس: وفاة الحبيب بورقيبة

بعد عزل الحبيب بورقيبة من السلطة يوم (07 نوفمبر 1987) أعلن الرئيس الجديد "زين العابدين" عن بداية عهد جديد، فقد أصدرت مجموعة من الأطباء بأمر من الوكيل العام للجمهورية تقريرا طبيا أكد حالة العجز التي أصبح عليها "الحبيب بورقيبة"، وبالتالي مرت رئاسة الجمهورية التونسية آليا إلى الوزير الأول حسب ما نص عليه الدستور، وقد استقبل التونسيون ذلك النبأ بانشراح صدورهم و نزلوا إلى الشوارع بالآلاف للتعبير عن فرحهم متوسمين في التغيير أن ينقذ تونس مما آلت إليه من أوضاع صعبة خاصة في المجال الاقتصادي والاجتماعي. وبعد عزله لم يظهر "بورقيبة" إلا في (أبريل 1989) بمناسبة أول انتخابات حين أصر الرئيس المعزول على المشاركة قائلا:« قررت أن انتخب ابني بن علي »، حيث ظهر ممدا على أريكة، فهو لم يعد قادرا على الوقوف، وحتى الكلام. وقد تكفلت الدولة التونسية برعايته إلى آخر حياته[1] إلى أن توفي يوم (06 أبريل 2000) بمسقط رأسه في مدينة المنستير عن عمر يناهز 97 عام[2] بعد أن تدهورت صحته خلال الأسابيع الأخيرة من حياته حيث تم نقله قبل أسبوعين من وفاته إلى المستشفى العسكري بتونس لتلقي العلاج، وفيه توفي وقد أعلن الحداد في تونس لمدة 07 أيام، وخصص له التلفزيون التونسي والإذاعة والجرائد برامج خاصة لإبراز المحطات الهامة في حياته ونضاله. وقد دفن "الحبيب بورقيبة" في مقبرة "روضة بورقيبة" بالمنستير مع أفراد عائلته في القبر الذي أعده لنفسه منذ نهاية السبعينات. فقد كان بورقيبة حريصا على ترتيب وضبط تفاصيل جنازته قبل وفاته بسنوات، من خلال إقامة ضريح فخم

---

[1] الصافي سعيد: مصدر سابق، ص26.

[2] الطيب بشير :**آخر أيام المجاهد الأكبر**، **جريدة الاتحاد**، ع 508، نشر يوم 2011/10/13، الزيارة يوم، 2015/03/03، الرابط الإلكتروني :www.alittihad.ae/details.

وقد قام مستشاره في الهندسة المعمارية بجولة في جميع أنحاء العالم لزيارة أشهر النصب التذكارية واستلهام أشكالها وزخرفاتها، وقد أعد "بورقيبة" تابوته منذ عام (1976)، خاصة بعد أن قضى "بورقيبة" ثلاثة شهور في جنيف لتلقي العلاج، فقد طلب ثلاثة أشخاص ليعرض عليهم طريقة تنظيم جنازته. ومما طلبه :« فور الوفاة يترتب على ابني إحضار مجموعة من رؤساء الدول، وحتى يتسنى قدوم العدد الأكبر يجب تأجيلا لمأتم بيومين بعد الإعلان عن الوفاة ويجب على وجه الخصوص نقل الجثمان رويدا رويدا من قرطاج إلى المنستير، وإشراك كامل الشعب التونسي في الحداد... ».

لقد كان "بورقيبة" من خلال هذه الطلبات متأثرا بسير جنازة "ونستن تشرشل" و"دوايت إيزنهاور" فتركت تلك الأحداث آثارا في نفسه مما جعله يصر ألا يقل مأتمه عظمة من هؤلاء، ولم يتوقف بورقيبة عند هذا الحد، بل أوفد عام (1972) وزيره للخارجية إلى موسكو حاملا رسالة شخصية إلى "برجنيف" طالبا منه إمداده بسر التحنيط وطرقه، وبالرغم أن "بورقيبة" قد توفي فقد ترك التماثيل النصفية المنصوبة داخل غالب قاعات المعاهد والمؤسسات، وأقيمت له تماثيل في المدن تجسم أطوار كفاحه، منها تمثال وهو تلميذ في المعهد الصادقي في الساحة أمام بلدية المنستير مسقط رأسه، وفي ساحة إفريقيا في العاصمة، وحول الحبس الذي اعتقل فيه بالقصبة بالعاصمة، إلى متحف صغير يزوره الضيوف حتى يروي لهم كيف نام "بورقيبة" مباشرة على الإسمنت واضعا يده تحت خده، وحتى تتدرج مآثره [1]

[1] الطاهر بلخوجة: مصدر سابق، ص 33

الأسطورية من التاريخ قرر إقامة تماثيل منحوتة لأبطال تونس الأربعة "حنبعل" و"يوغرطة "و"ابن خلدون" و"سان أوغستان" داخل قاعة مجلس الوزراء بقصر قرطاج وأعد القاعدة الخامسة لنصب تمثاله. هذا هو "بورقيبة" الذي كان مهووسا بمكانته في التاريخ[1].

[1] الطاهر بلخوجة: مصدر سابق، ص 38

خلاصة الفصل

بعد دراستنا إلى هذه الشخصية التي نشأت في ظروف قاسية ومتواضعة فوالده الذي أجبر على العمل في جيش الباي رغما عنه، ورغم تلك الظروف من فقر وحرمان فان بورقيبة كان شغوفا بالالتحاق بالمدرسة فأرسله أبوه إلى تونس العاصمة ليتكفل أخاه محمد بدراته، لان واده كان عاجزا على الإنفاق لتعليمه وما إذ التحق بورقيبة بالمدرسة فقد واجه كذلك صعوبات كثيرة من البعد عن أهله والحاجة إلى المال وتعرضه للمرض والانقطاع مدة سنتين عن مواصلة دراسته الثانوية، لكن شغفه بالعلم كان ذلك دافعا قويا له للعودة ثانية لمواصلة مشواره الدراسي ونجاحه في الدراسة مما أهله إلى الالتحاق بجامعة "السوربون" بباريس لمواصلة الدراسات العليا والتي تركت أثرا كبيرا من نضاله في الحركة الوطنية التونسية وحكمه بعد الاستقلال أما إذا رجعنا إلى الآثار التي تركها الحبيب بورقيبة سواء كان منها الفكرية، فقد كتب بورقيبة كل تفاصيل حياته الشخصية، وأراد بورقيبة من كل ذلك انه من أعظم الشخصيات التي عرفتها تونس خلال الفترة (المعاصرة) بالإضافة إلى الآثار المادية بقيت بعد وفاته حيث أقام التماثيل لنفسه في كل البلاد وسمى اكبر شارع في تونس العاصمة باسمه، ووضع صورته على الأوراق النقدية التونسية، وأراد من كل ذلك أن يكون هو المثل الأعلى الوحيد لكل التونسيين.

الفصل الثالث: بورقيبة و إسهاماته في الحزب الدستوري التونسي الجديد (1934 -1956)

الفصل الثالث: بورقيبة وإسهاماته في الحزب الدستوري التونسي(1934-1956)

يتناول هذا الفصل نضال ونشاط الحبيب بورقيبة ما بين (1934-1956) حيث تعد هذه الفترة التي كان فيها الجو مهيأ لممارسة نضاله السياسي بأفكار ورؤية جديدة التي تعلمها من خلال دراسته في الجامعات الفرنسية على عكس المناضلين السياسيين الذين سبقوه في النشاط السياسي والذين درسوا وتأثروا بالمدرسة الشرقية، هؤلاء وحسب أفكار وآراء الحبيب بورقيبة أصبحوا غير قادرين على مواصلة النشاط السياسي من خلال أفكارهم التي أصبحت غير صالحة في ذلك الوقت، حيث استطاع بورقيبة أن يكيف أفكاره حسب تطلعات الشعب التونسي واستطاع لن يبعد كل المناضلين السياسيين القدامى " كعبد العزيز وغيرهم من مناضلي الحركة الوطنية التونسية، وسيطرتها على الحزب الدستوري الذي أصبح هو الزعيم الأول له والذي زاد نشاطه خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، محاولا إيصال القضية التونسية إلى المجتمع العربي خاصة في المشرق، والمجتمع الدولي عن طريق طرح القضية التونسية عبر هيئة الأمم المتحدة، وبعد انتهاء من هذه الجولة عاد بورقيبة إلى تونس ليواصل نشاطه من الداخل، الذي كان صعبا في تلك الفترة خاصة بعد المقاومة المسلحة، هذا الأخيرة إلي رفضها بورقيبة فحاول إيقافها، من اجل مواصلة المفاوضات التونسية الفرنسية .

المبحث الأول: تأسيس الحزب الدستوري التونسي الجديد

تعود البدايات الأولى لظهور الحزب الدستوري التونسي الجديد إلى ذلك النشاط الدؤب والتأثير الفعال في الأوساط الشعبية التونسية، والذي إنفردت به جماعة جريدة "العمل التونسي" منذ تأسيسها سنة (1932)، إذ شنت تلك الجريدة حملة شعواء على قانون التجنيس لما يمثله من خطر يهدد الهوية التونسية العربية الإسلامية، والتي دعت الى منع دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسية في المقابر الإسلامية، فكثرت المصادمات بين الجماهير الشعبية وقوات الأمن في عدد من المدن التونسية، فاضطرت السلطة الفرنسية في آخر الأمر إلى تخصيص أماكن لدفن المجنسين خارج مقابر المسلمين فكان ذلك انتصار كبير أحرزته الحركة الوطنية التونسية، وجماعة جريدة العمل التونسي بوجه خاص، فشرع الحزب في وضع خطط ملائمة لظروف تلك المرحلة ومسايرة لما اكتسيه الشعب من وعي وطني وتعبئة واسعة، ولما رأت اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري ما أحرزه هؤلاء الشباب من نجاح عقدت مؤتمرا وطنيا عاما، وهو مؤتمر " نهج الجبل" يومي (12-13 ماي 1933) فألقى "الحبيب بورقيبة" رئيس تحرير جريدة " العمل التونسي " الناطقة بالفرنسية خطابا منهجيا شرح فيه الأسباب الداعية إلى التجمع وأهدافه وبعد ذلك قرر المؤتمر في نهاية أشغاله ضم أعضاء هيئة تحرير الجريدة الى الهيئة التنفيذية.[1]

وضم كل من " محمود الماطري" و" الحبيب بورقيبة " و" الطاهر صقر "...، كما صادق المؤتمر في اليوم الأخير من أشغاله (13 ماي 1933) على ميثاق وطني جاء فيه ان سياسة التظاهر مع فرنسا قد فشلت فشلا ذريعا وأن الغاية التي يرمي إليها الحزب هي تحرير الشعب التونسي ومنح البلاد قانونا منيعا في شكل دستور

[1] قدادرة شايب: مرجع سابق، ص- ص 110-111

يحمي الشخصية التونسية ويقر سيادة الشعب، فازداد نشاط الحركة الوطنية وساد التضامن بين القادة فقررت السلطة الفرنسية إزاء هذا أن تتخذ تدابير صارمة لوقف تيار الحركة الوطنية، فأصدرت من جهة قرار خاص بإنشاء مقابر خاصة للمتجنسين التونسيين وبتاريخ (13 ماي 1933)، أصدر المقيم الفرنسي قرار يقضي بحل الحزب الدستوري وتعطيل جريدة العمل التونسي، وفي (27 ماي 1933) اتخذ نفس المقيم العام إجراءات قمعية جديدة تمثلت في إصدار "الأمر الأثيم" يقضي بإيقاف نشر الصحف التونسية المكتوبة بالفرنسية ، مثلما سبق بالنسبة للصحف المكتوبة بالعربية بالخصوص نشاط الحزب الدستوري [1]، وفي صيف (1933) نشبت حوادث في "المنستير" وهي مسقط رأس "الحبيب بورقيبة" وهذا بمناسبة دفن ابن موظف متجنس بالجنسية الفرنسية جرى تحت حراسة الجند فاعترض سكان "المنستير" على دفن الطفل الصغير، عندما أخبر المراقب المدني بسوسة بالحادثة أرسلت قوات من الجيش الفرنسي وأطلقت الرصاص على جميع المتظاهرين فقتلت احدهم والمسمى " شعبان بن الصالح البحوري ".[2]

ففي هذه الأثناء رأت الجالية الفرنسية أن الإجراءات التي اتخذها "مانصرون" غير كافية فطالبت بتعيين مقيم عام أشد منه حزما واستجابة لهذه الرغبة عينت الحكومة الفرنسية بتاريخ (29 جويلية 1933) لتمثيلها بالبلاد التونسية المقيم " مارشال بيروطون " ولقد وصل هذا الأخير إلى تونس في وقت زعزعت فيه الأزمة جميع قطاعات النشاط الاقتصادي بالبلاد التونسية [3]

---

[1] قدادرة شايب: مرجع سابق، ص 111.

[2] شارل اندري جوليان: **تاريخ فريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الاقصى**، مرجع سابق، ص 100 .

[3] أحمد القصاب: **تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)**، تع حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص538 .

ولقد حاول هذا الأخير إيجاد الحلول العاجلة فجاء بالإصلاحات السريعة:

- شكل لجنة فكلفها بإعداد الإصلاحات التي تراها ضرورية
- عين لإدارة جامع الزيتونة الشيخ الطاهر بن عاشور
- أعاد الشيوخ الذين عزلهم "مانصرون" المقيم العام الأسبق إلى عمله الأساسي إلى جامع الزيتونة
- أحدث مقابر خاصة بالمسيحيين
- زاد عدد أعضاء القسم التونسي في المجلس الكبير[1] لكن الوضع العام لم يتحسن لأنه كان بحاجة إلى حلول جذرية وليس حلول سطحية ترقيعية حيث تعتبر الفترة التي جاء فيها هذا المقيم هي بداية التصدع بين قادة الحزب الدستوري لأنها كشفت عن المواقف الحقيقية لكل طرف إذ رأت جماعة جريدة العمل التونسي بزعامة "الحبيب بورقيبة" في مواقف بقية أعضاء اللجنة التنفيذية بأنها مواقف لا تخدم القضية التونسية فهي مواقف متخاذلة لا تتسم بالحنكة والدبلوماسية، وكان أول سبب مباشر لهذا التصدع والانشقاق وقد تمثل في تزعم "الحبيب بورقيبة" يوم (4 سبتمبر 1933) وفدا من المنستير يشكو إلى الباي القمع الذي سلط على السكان من تصرفات القايد وبما أن "بورقيبة" لم يحط اللجنة التنفيذية للحزب علمها بهذه الزيارة فقد استاءت اللجنة من ذلك ووجهت إليه توبيخا من طرف أعضاء اللجنة التنفيذية ويقول محمود الماطري بهذا الخصوص:"لقد كنا شاعرين والحق يقال أن أعضاء اللجنة التنفيذية القدماء كانوا يبحثون عن خصومة معه بلا موجب"، وفي يوم (9 سبتمبر 1933) قدم "الحبيب بورقيبة" إستقالته من الحزب وعن هذه الاستقالة

[1] محمود شاكر: **التاريخ المعاصر لبلاد المغرب**، المكتب الاسلامي، بيروت، 1996، ص 148.

يقول "الحبيب بورقيبة" "وأدركت عندما علمت بلائحة اللوم ضدي أي القصد من إدخالي في عضوية اللجنة التنفيذية هو وضع وثاق يشدني وإقامة العراقيل في وجهي للحيلولة دون قيامي بأي عمل حتى ولو كانت المشاركة في الوفد".[1]

و لقد ساعدت التدابير التي اتخذها "بيروطون" على إظهار الخلافات التي كانت موجودة بين جماعة "العمل التونسي" وزعماء الحزب الدستوري من حيث التكوين الثقافي [2]، و لم تمض سبعة أشهر حتى نشبت خلافات بينهم وبين قيادات الحزب لعدة أسباب أهمها الصراع على قيادة الحزب، فقد وجد "محمود الماطري" ورفاقه أن اللجنة التنفيذية للحزب بعد غياب "الثعالبي" وقيادات أخرى لم تعد قادرة على قيادته وانتهزوا هذه الفرصة محاولين السيطرة على قيادة الحزب الدستوري، وبرروا ذلك عندما دعا المقيم العام أعضاء اللجنة التنفيذية للحوار معهم حول إصلاحات يزعم إعطاءها للحركة الوطنية، وطلب منهم أن يكون هذا الحديث سرا خشية من أن يسمع حزب المستوطنين الفرنسيين به فيبطل عمله، وبما أن اللجنة التنفيذية للحزب اعتبرت هذه المقابلة سرية فإنها طلبت من أعضائه عدم إفشائها، فما كان من "البحري قيقة" عضو اللجنة التنفيذية إلا أن أبلغ " الشاذلي خير الله " بفحوى المحادثة مع المقيم العام واتصل الشاذلي "خير الله"بمدير جريدة تونس الاشتراكية" لسان الحزب الإشتراكي الفرنسي بتونس التي نشرت مضمون تلك المحادثة، وقد ذكر أعضاء من اللجنة التنفيذية أن السر الذي أفشاه "البحري قيقة" يتعلق بما أعلن عنه المقيم العام من استعداده للتخفيض من المنح التي يتمتع بها الفرنسيون في تونس

[1] قدادرة الشايب: مرجع سابق، ص 112.

[2] أحمد القصاب: مرجع سابق، ص 545

ومنها منحة الثلث الاستعماري، فدعا المقيم العام أعضاء اللجنة التنفيذية ولامهم على ذلك فاتخذت قيادة الحزب قرارا بفصل "البحري قيقة" الذي أفشى السر، واستقال معه جماعة "جريدة العمل"، وبدأ الصراع يشتد أكثر بينهم وبين اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري لينشقوا عنهم وسموا أنفسهم الحزب الحر الدستوري الجديد. [1]

وقد اعتمد هذا جيل الشباب المتطلع نحو التجديد والمتأثر بالحضارة الغربية الذين قرروا الاتصال بالجماهير الشعبية وإشراكهم في الحركة، وعرفوا كيف يؤطرون الطبقات الشعبية وذلك ما يفسر نجاحهم السريع على حساب الجيل القديم الذين حرموا تدريجيا من مؤيديهم، لأن الحزب الدستوري الحر لم يستطيع أن يساير التطورات أو يكسب العامة إلى صفه، وذلك في غياب مشروع جديد يتماشى وتطلعات المجتمع التونسي، وكان "الحبيب بورقيبة" يمثل الفئة الشبابية الجديدة وقام هؤلاء المنشقون عن اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري بعقد مؤتمر" قصر هلال" في مدينة "المنستير" وذلك يوم (02 مارس 1934) حيث ألقى "الحبيب بورقيبة" خطابا أوضح فيه الأسباب التي أدت إلى عقد هذا المؤتمر والأهداف المرجوة منه

وقد حضر هذا المؤتمر 48 عضوا من الحزب الدستوري، كان من بينهم 18 عضوا من "المنستير" و"المهدية "و"قصر الهلال"، الذين سيطروا على سير أعمال المؤتمر وكلهم ينتمون الى منطقة "الحبيب بورقيبة"، انتهى ذلك المؤتمر الذي[2] عرف" بمؤتمر البعث"[3]، ببعث حزب جديد سمي "الحزب الحر الدستوري الجديد" وقد اتفق الجميع على الاحتفاظ بالاسم نفسه للحزب مع إضافة كلمة جديد حتى لا تتعرض

---

[1] الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية**، مرجع سابق، ص 59.

[2] عز الدين معزة: **فرحات عباس و الحبيب بورقيبة**، مرجع سابق، ص 175.

[3] عبد الحميد زوزو: **تاريخ الاستعمار و التحرر في افريقيا و آسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2009، ص 80.

لهم سلطة الحماية ولا قواعد الحزب القديم وأعلنوا عن مقاطعتهم اللجنة التنفيذية وأحلو مكانها مكتبا سياسيا متكونا من الشبان المثقفين، وعلى رأسهم "محمود الماطري" و"الحبيب بورقيبة" أمينا عاما وكان هذا هو الذي بادر بتأسيس هذا الحزب الجديد الذي قاد تونس إلى استقلال تونس

المبحث الثاني: نشاط بورقيبة ما بين (1934-1939) .

بعد إنتهاء التعاون بين الحزب الدستوري و بين جماعة "العمل التونسي" دعا "بورقيبة" أعضاء الحزب إلى عقد مؤتمر "بقصر الهلال" في (2 مارس 1934) [1] حيث حضر المؤتمر 60 شُعبة دستورية وهي من مناطق ريفية و من المدن الصغيرة داخل البلاد [2]، وقد أدار النقاش جماعة " العمل التونسي " وعلى رأسهم "الحبيب بورقيبة" الذين أحاطوا المؤتمرين علما بتطورات الأزمة وأدانوا سياسة التعاون التي تنتهجها اللجنة التنفيذية واقترحوا توسيع الكفاح من أجل تحرير الوطن .

فأعلن المؤتمر عن حل اللجنة التنفيذية، وصادق على النظام السياسي الجديد للحزب وعين أعضاء الديوان السياسي الجديد، حيث أصبح بتونس حزبان دستوريان "الحزب الدستوري الجديد" الذي إنضمت له الغالبية و"الحزب الدستوري القديم " الذي انطوى على نفسه .

ولقد بنى الحزب الجديد الميثاق الذي كان قد صادق عليه المؤتمر المنعقد في(12 ماي 1933)، كما تقرر عقد مؤتمرات دورية لتمكين قادة الحزب من إطلاع

---

[1] شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير من الفتح الاسلامي الى الوقت الحاضر**، مرجع سابق، ص 415 .

[2] زهير الذوادي: **تطور الحركة الوطنية التونسية (1929-1939)**، دار التقدم للنشر و التوزيع، تونس، 1982، ص 62.

نواب القاعدة على النشاط السابق وتحديد برنامج العمل المقبل بالاتفاق بين الجميع وفي داخل الحزب يطالب كل مناضل بالإمتثال إلى قاعدة الإنضباط المقامة على أساس الديمقراطية الداخلية، هذا ويتركب الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد من: "محمود الماطري" رئيسا للحزب، "الحبيب بورقيبة" أمين عام، "الطاهر صفر "أمين عام مساعد، "محمد بورقيبة" أمين مال "البحري قيقة" أمين مال مساعد [1].

وسرعان ما شرع الفريق في العمل فعقد اجتماعات عديدة في كامل أنحاء البلاد وبذل مساعي كبيرة لاستقطاب ما أمكن من المنخرطين، ففي بضعة شهور استطاع الحزب أن يكون له فروع في كل مكان تقريبا، وينظم اجتماعات شعبية حتى أصبح بالنسبة إلى السلطة الاستعمارية قوة تبعث على القلق والانشغال. [2]

ولقد حاول الحاكم العام الفرنسي على تفكيك القوى الوطنية بعد الانشقاق الذي حدث في مؤتمر "قصر الهلال"، ولكن الأحداث كذبت هذه التوقعات، فنشاط "بورقيبة "وجماعته إمتد إلى كامل البلاد [3] فشنوا الإضرابات، وقاطعوا السلع الفرنسية وامتنعوا عن دفع الضرائب[4]، وذلك لإجبار سلطة الحماية على التفاهم مع الحزب الدستوري الجديد وتحقيق مطالبه المتمثلة بالدرجة الأولى في وضع دستور يضمن للشعب التونسي حكمه الذاتي ويسير شؤونه بنفسه، مطالبا بفصل السلطات وحرية الاجتماع والتعبير والنشر لكل التونسيين، فمطالب الحزب الدستوري الجديد ترتكز على إبعاد نفوذ سلطة الحماية خاصة في الجانب التنفيذي والتشريعي والمالي فهذا

---

[1] أحمد القصاب: مرجع سابق، ص -ص، 546-547.

[2] محمد الهادي شريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال**، ط2، تع، محمد الشاوش و آخرون، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 122.

[3] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 180 .

[4] التليلي العجيلي: **الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881،1939)**، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992، ص 234.

النشاط النضالي الوطني أقلق المقيم العام الفرنسي، فلجأ إلى استعمال القوة والترهيب [1]، فأمر بإلقاء القبض في (3 سبتمبر 1934) على سبعة زعماء منهم " الحبيب بورقيبة " "ومحمود الماطري" و"محمد بورقيبة " الذين أبعدوا إلى الجنوب التونسي، كما تم تعطيل جريدة " العمل " ومنع الاجتماعات في الطريق العام وقرر أن لا تتخذ إجراءات الاعتقال في المستقبل بمقتضى قرار صادر عن مجلس الوزراء بل بمقتضى قرار من المقيم العام [2]

وفي يوم (5 سبتمبر 1934) حصلت اضطرابات "بالمكنيين" واضطر الجيش إلى إطلاق النارفسفرت الاضطرابات عن سقوط قتلى وجرحى، كما نظمت مظاهرات بالعاصمة وتوجهت وفود من المتظاهرين إلى السلطة وبالخصوص إلى الباي للمطالبة بالإفراج عن الموقوفين .

أما "الحبيب بورقيبة" رغم الإبعاد فقد بقي على اتصال بحزبه واستطاع أن يوجه رسائل إلى المناضلين يطلب منهم مواصلة النضال فعندما علم المقيم العام بذلك عزله إلى "برج لبوف" في أقصى الجنوب التونسي، وهدده مع زملائه بإبعادهم إلى جزيرة "مدغشقر"، ولكن ذلك لم يمنع " بورقيبة " من توجيه نصائحه وتوجيهاته إلى الشعب والحزب فقد حثهم على ضرورة مواصلة الضغط وعدم الاستسلام مهما كانت العراقيل والتضحيات واستطاع الحزب الدستوري الجديد من تضييق الخناق على المقيم العام فتوالت الاجتماعات والعرائض والمناشير والمظاهرات بلا إنقطاع وفي أول (جانفي 1935) تظاهر مناضلوا الحزب بالجامع الأعظم بتونس مذكرين الباي بالوعد الذي قطعه يوم (4 سبتمبر 1934) بالمرسى بخصوص التدخل لفائدة

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 181.

[2] أحمد القصاب: مرجع سابق، ص 551 .

المبعدين فاستغل بيروطون هذا الحدث لتشديد الإجراءات القمعية وأبعد إلى الجنوب "البحري قيقة" و"الطاهر صفر"، ومن ناحية أخرى حاول إقناع أعضاء الحزب الدستوري القديم وبعض مناضلي الحزب الدستوري الجديد، بضرورة التأثيرعلى الشعب وحثه على وضع حد للفوضى[1]

وكلما زادت السلطة الاستعمارية من تعنت وقمع، إشتدت ردة الفعل من الشعب وإزدادت مقاومته، وفي آخر الأمر رأت السلطة الاستعمارية أن هاته السياسة المتركزة على العنف قد منيت بالفشل [2]

وأمام هذا الضغط لجأت الحكومة الفرنسية إلى انتهاج سياسة جديدة في تونس فأقدمت على تعويض المقيم العام "بيروطون" بشخصية أخرى هي شخصية "جيون" في شهر (أبريل 1936) الذي بادر بإطلاق سراح المعتقلين وأباح الحريات العامة فانتشرت الُشعب الدستورية بسرعة كبيرة في كامل التراب التونسي، و كثرت جمعيات الكشافة وتأسست النقابات الوطنية الحرة [3]، وفي (23ماي 1936) أطلق المقيم العام سراح المعتقلين الدستوريين، مصادف ذلك إنتصار الجبهة الشعبية بفرنسا وأصدر كذلك عفوا على الزيتونيين المحكوم عليهم، وأعاد حرية الصحافة والاجتماع وكُلف " الحبيب بورقيبة " مباشرة بعد إطلاق سراحه بإبلاغ المسؤولين الفرنسيين برنامج الحزب الدستوري الجديد الذي يتمثل في :

- إقامة نظام برلماني يعتمد على فصل السلطات
- إعادة تنظيم الوظيفة العمومية لفائدة التونسيين

---

[1] أحمد القصاب: مرجع سابق، ص 551.

[2] قدارة شايب: مرجع سابق، ص 120.

[3] قدارة شايب: مرجع نفسه، ص 121.

- إصلاح الإدارة الجهوية والعدلية وتعميم التعليم الإجباري والتدريس باللغة العربية كما اشتملت مطالبه على الإجراءات التي ينبغي اتخاذها في العاجل في الميدان الاقتصادي والاجتماعي [1].

وكان الدستوريون الجدد يأملون أن تتمكن حكومة " ليون بلوم " وهي أول حكومة يسارية حقيقية عرفتها فرنسا منذ الحرب العالمية الأولى، من إدراك رغائب الشعب التونسي وأخذ مطالب الدستوريين بعين الاعتبار، لكن حكومة "ليون بلوم" انقضت ولم تحقق أي نصيب من الآمال التي علقها الوطنيون التونسيون عليها، وهذا بسبب ضغط الجالية الفرنسية بتونس والتي إتخذت موقفا متشددا للغاية في حين إضطرت الحكومة الفرنسية أمام ذلك الى ترك المسائل الاستعمارية جانبا [2]، وإثر تلك الظروف سافر "الحبيب بورقيبة" مرة أخرى الى باريس في أواخر (فيفري 1937) لإجراء حوار مع المسؤوليين الفرنسيين وتقديم المطالب التونسية، بينما قدم إلى تونس في أواخر (فيفري 1937) " بيار فيانو" كاتب الدولة للشؤون التونسية والمغربية للاطلاع على الحالة بنفسه، أقام 10 ايام بتونس إستخلص نتائج التحقيق الذي قام به ففي خطاب ألقاه "براديو تونس" في (01 مارس 1937) بين فيه الأوضاع السيئة التي تعيشها البلاد معلنا عن إصلاحات هامة تقوم بها فرنسا بتونس، كما عبر عن رفضه لكل سياسة ترمي إلى الإدماج مفضلا سياسة الشراكة ولقد تقبل " الحبيب بورقيبة "هذا و صرح قائلا : " بأن الوحدة التي لا تنفصم بين تونس وفرنسا تمثل القاعدة الأساسية لمطالب الحزب الدستوري الجديد" في حين رفض المستوطنون تلك الإصلاحات، وأثاروا في تونس سلسلة من الأعمال الموجهة ضد

[1] عز الدين معزة: مرجع ستبق، ص 183 .

[2] أحمد القصاب: مرجع سابق، ص 558 .

التونسيين، حيث تم إطلاق النار على العمال المضربين وقتل 5 منهم، واستنكر الحزب الدستوري الجديد تقتيل العمال التونسيين ومواصلة سياسة القمع الأعمى وصادف هذا احتضار حكومة " بلوم " التي سعت إلى تخفيف وطأة الاستعمار والقيام بإصلاحات في المستعمرات الفرنسية لكن لم تستطع تحقيق شيء من وعودها وتم الإطاحة بها بتاريخ (21 أوت 1937) فتضاءلت آمال الحزب الدستوري الجديد في مواصلة تجربة الحوار مع فرنسا [1] وفي تلك الظروف رجع "عبد العزيز الثعالبي" من المنفى، محاولا إفشال النوايا الاستعمارية الهادفة الى تأجيج الخلاف بين أتباع اللجنة التنفيذية وأعضاء الحزب الدستوري الجديد حيث سعى إلى توحيد الحركة الوطنية تحت رايته وتكونت لجنة في الغرض يوم (3 أوت 1937) لكن الحزب الدستوري رفض ذلك لتباين المواقف بين قيادتي الحزبين، فقد كان للحزب الدستوري الجديد تصور براغماتي وخطة عمل للوصول إلى هدف الاستقلال.

في حين بقي الحزب الدستوري القديم متشبثا بمواقفه المبدئية، واقتصر موقفه على الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، وبالتالي باءت كل المحاولات بالفشل، وانتهى الصراع في النهاية للحزب الدستوري الجديد الذي أفشل كل محاولات "عبد العزيز الثعالبي" إلى التوحيد، حتى بلغ الأمر إلى حد وقوع مصادمات عنيفة أسفرت عن سقوط ضحايا[2]، ولما رأت فرنسا بانبعاث الروح من جديد في الحركة الوطنية غيرت سياستها، وأصدرت قانون يقضي بحل الأحزاب ومنع الاجتماعات العامة ومصادرة الحريات، وحلت بأقطار المغرب العربي موجة من القمع والارهاب الاستعماري، هذه المجابهات العنيفة جعلت قادة الحزب يعيدون النظر في سياستهم وطريقة عملهم مع

---

[1] احمد القصاب: مرجع سابق، ص 559.

[2] خليفة الشاطر و آخرون: **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال**، مرجع سابق، ص 109.

إدارة الاستعمار ففي (31 أكتوبر 1937) عقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمره الثاني " بنهج التريبونال" و قد سيطر على هذا المؤتمر روح الإندفاع والحماس لدى الشبان ولدى مناضلي الحزب القياديين من الارياف خاصة " سليمان بن سليمان "و" الحبيب بوقطفة " و" يوسف الرويسي " ونتيجة لمواقف هؤلاء اتخذ المؤتمر قرارات في منتهى الخطورة لمجابهة العدو، ومن بين القرارات التي إتخذها الحزب الدستوري الجديد، إعلان العصيان المدني، ومجابهة الاستعمار بالعنف ونتيجة لما يترتب عن خطورة هذه القرارات، وقع خلاف بين رئيس الحزب " محمود الماطري " الذي رفض اللجوء إلى العنف كوسيلة لتحقيق الاستقلال، وبين "الحبيب بورقيبة "الأمين العام للحزب، فقدم "الماطري" إثرى ذلك إستقالته من الحزب ويقول الحزبيون القدامى، وبعض الحزبيين الجدد الذين إنشقوا عن "بورقيبة إن جو العنف الذي ساد المؤتمر وقراراته التي لم يوافق عليها " محمود الماطري" التي كانت تستهدف بالدرجة الأولى إقصاء هذا الأخير من رئاسة الحزب وإضعاف الحزب الدستوري القديم ويعتبر هؤلاء أن هذه المناورة كانت مدبرة من "بورقيبة" الذي كان يريد أن يسيطر على الحزب الجديد ويوجهه.[1]

وفي أوائل شهر (جانفي 1938) وعلى إثر الاضرابات وموجة الإضطهاد الإستعماري التي بدأت بالمغرب ثم بالجزائر وانتهت بتونس، وقع أول صدام بين الجيش الفرنسي والجماهير في مدينة " بنزرت" أستشهد فيه وجرح عدد كبير من المواطنيين، فما كان من قيادة حزب الدستور الجديد إلا أن دعت في شهر (مارس 1938) المجلس المركزي للحزب ليصادق على قرارات المؤتمر التي تدعو إلى عدم

[1] الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية (1881-1956)**، مرجع سابق، ص 65 .

الخضوع للقمع الاستعماري[1]،فتفرق أعضاء المكتب السياسي داخل البلاد لتهيئة الشعب للكفاح وقد حاول "الحبيب بورقيبة" في عدة جهات من البلاد محرضا الشعب التونسي على مواجهة السياسة الاستعمارية، هذه الجولات امتدت من الوطن القبلي الى الجنوب ولم يتوقف فيها "الحبيب بورقيبة "عن تحريض الشعب التونسي إلى أن أصيب بالتهاب حاد في حنجرته ألزمه الفراش غلى حين إلقاء القبض عليه.

وفي أوائل أبريل وقعت كذلك إصطدامات أخرى بين الجيش الفرنسي والجماهير الشعبية في كامل البلاد التونسية وأعتقل زعيمين من حزب الدستور الجديد هما [2] "سليمان بن سليمان"، "صالح بن يوسف" ودعا "علي بهلوان" الى شن اضرابات شاملة استجابت لها الجماهير الشعبية [3] حيث توجه إطارات الحزب الدستوري الجديد إلى المقيم العام مطالبين منه إطلاق سراح زملائهم لكن المقيم العام لم يستجب لمطالبهم وقرر نهائيا القضاء على الحزب الدستوري الجديد ولو أدى ذلك إلى أسوء العواقب [4] وفي يوم (9 أبريل) انتشر خبر اعتقال "علي البهلوان" فتجمع المتظاهرون أمام قصر العدالة حيث يوجد " علي البهلوان" فقامت قوات الأمن بتشتيت المتظاهرين، وقتلت أكثر من مائة من التونسيين، فأعلنت السلطة الاستعمارية حالة الحصار في البلاد وعمدت الى إلقاء القبض على قادة الحزب الدستوري الجديد.[5]

---

[1] الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 66 .

[2] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 187.

[3] André Raynond, amponcet:**La Tunisie**, présses.unversitouves de France , 1971, Paris, page, 61.

[4] عز الدين معزة: مرجع نفسه، ص 188.

[5] احمد القصاب: مرجع سابق، ص 567.

وفي مقدمتهم " الحبيب بورقيبة " الذي كان ملازما للفراش، وأحيل القادة الدستوريين على المحكمة العسكرية بدعوى التآمر على أمن الدولة وزج بهم في السجن العسكري، وفي يوم (12 أبريل 1938) تم حل الحزب الدستوري الجديد وأغلقت نواديه وحجزت وثائقه، كما عطلت أغلب الصحف الوطنية، وبالرغم من هذه الاجراءات القمعية الرهيبة، فإن مناضلي الحزب الدستوري الجديد واصلوا صمودهم ومقاومتهم للغطرسة الاستعمارية، وخلال مدة سجن قادة الحزب الدستوري الجديد إعتقدت السلطات الاستعمارية ان الوضع سيهدأ، فإن العناصر الدستورية التي لم تشملها بعد موجة الاعتقال قد حاولت توظيف الظرف الجديد، فقد تتالى تكوين الدواوين السياسية السرية، من ذلك ظهور الديوان السياسي الخامس في أواخر (1939) برئاسة "الباهي الادغم" ومن أهم أعضائه " الهادي خفشة و" الهادي السعيدي " وقد ساهم هذا الأخير في تكوين لجنة سرية تولى الإشراف عليها وكان هدفها تنشيط الدعاية الوطنية إصدار المناشير لحث الشعب على القيام بأعمال تخريبية والمطالبة بالإفراج عن المساجين السياسيين[1] كل هذه الأحداث التي عرفتها تونس ما بين (1934-1939) وما نتج عنها من سقوط العشرات القتلى واعتقال الآلاف على غرار القادة الوطنيين، مكنت هذه من يتصدر الحزب الدستوري الجديد قيادة الحركة الوطنية التونسية ضد الاستعمار، وأصبحت له شعبية كبيرة، مواصلا نضاله من أجل تحرير الوطن .

[1] خليفة الشاطر و آخرون: مرجع سابق، ص 113 .

المبحث الثالث: نشاط بورقيبة ما بين (1939-1945).

بعد إعتقال "بورقيبة" وزملائه ونقلهم إلى السجن بتونس ثم إلى سجن " تبرسق " ثم نقلوا الى سجن " سان نيكولا " بالقرب من مرسيليا [1] ورغم ما قامت به سلطات الاستعمار ضد قادة الحزب الدستوري الجديد، إلا أن بقية الدستوريين الجدد قد تمكنوا من إعادة تنظيم سري لحزبهم، فقد قاد حركتهم تلك " الباهي الادغم " صحبة " صلاح بوشوشة " و" جلولي فارس " و" عمر بن حميدة " و" محمد بن عمارة " فقد أسسوا خلايا سرية للحزب الدستوري الجديد إنحصرت مهمتها في تدمير الجسور وقطع الاسلاك الهاتف، وإغتيال الاستعماريين وبث الرعب فيهم وكان نتيجة ذلك إعتقال "الباهي الادغم " ورفاقه ونقلوا الى سجن " لامبيز " بالجزائر ووجدوا هناك مناضلين تونسيين قد سبقوهم إلى هذا السجن، و بعد ما حل بالحزب الدستوري الجديد من إضطهاد وسجون تصفيات عاد " الحبيب ثامر " من فرنسا لتولي الحركة الوطنية التونسية [2]، مدعما بقريبه " الطبيب سليم " تركزت مطالب الحركة في إطلاق سراح المعتقلين، وواصلوا تنظيم الخلايا السرية وتقديم العرائض، و قيادة المظاهرات، وبإندلاع الحرب العالمية الثانية وإنهزام فرنسا أمام ألمانيا في (جوان 1940)، كان لهذا الوضع الجديد إنعكاساته السياسية والاقتصادية والاجتماعية على تونس وأصبح التونسيون في حيرة من أمرهم فهم لم يرغبوا أن تتحول تونس إلى ساحة قتال فقد وقع انقسام في الحركة الوطنية التونسية منهم من يرى ضرورة للاستفادة من الألمان لاستقلال البلاد، و بين معارض لذلك و منهم "حبيب بورقيبة " الذي تمكن رغم جميع العراقيل من إبلاغ التونسيين وتحذيرهم من التعاون مع قوات

---

[1] أحمد القصاب: مرجع سابق، ص 568.

[2] الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 67 .

المحور، عكس تيار الحزب القديم الذي أيد قوات المحور [1]، وقد وجه الدستوريون الجدد أنظارهم إلى "أحمد باي " * بالرغم من عدم إكتراثه ونبهوه إلى أن مهمة فرنسا قد انتهت، وأعادوا المظاهرات للمطالبة بإطلاق جميع السجناء المعتقلين، لكن السلطات الإستعمارية قامت باعتقال " الحبيب ثامر " و" الطيب سليم " حينما أوشكا على اجتياز الحدود الطرابلسية، وحكمت عليهما المحكمة العرفية بعد 13 شهرا بالأشغال الشاقة لمدة عشرين سنة، لكن رغم هذه الاضطهادات لم يقف الحزب الدستوري مكتوف الأيدي بل واصل نشاطه.

وفي (19 جوان 1942) توفي (أحمد باي) الذي لم يأسف عليه التونسيون إذ لم يتحصل الوطنيون في عهده الطويل إلا على ترضيات بسيطة [2]، وجاء بعده "الباي محمد المنصف" حيث استعاد الدستوريون دعما رسميا كانوا يتطلعون إليه منذ زمن بعيد، وأعطى البلاد وحدة وطنية في لحظة تشتت القوى الوطنية المتمثلة بالحزب الدستوري، حتى أصبح بإمكان الحزب تقديم مطالبه الى المقيم العام الفرنسي من خلال الباي، وعرف عن الباي " محمد المنصف " حبه لوطنه، وتأييده للدستوريين ومقته للفرنسيين[3]، وأبدى رغبته منذ الوهلة الاولى في القيام بحملة من الإصلاحات تمثلت في تقديم مذكرة الى الحكومة الفرنسية (2 أوت 1942) تضمنت (16) نقطة من أهم ما جاء فيها تكوين مجلس إستشاري تونسي، إطلاق سراح

---

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 189.

[2] شارل اندري جوليان: **تاريخ افريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الاقصى**، مرجع سابق، ص 102

*احمد باي: ولد في (أبريل 1862) بويع بعد وفاة ابن عمه محمد الحبيب باي سنة 1929 يتميز عهده بفترات متتابعة من القمع الوحشي ،إحياء ذكرى خمسينية للحماية، المؤتمر الافخارستي، أزمة التجنيس، نفي الزعماء الوطنيين، القمع الوحشي 9 ابريل 1939، و ما تبعته من اعتقالات و ازاء كل هذه الاحداث أفظ أحمد باي على عدم مبالاته ، أنظر عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 255.

[3] محمود علي عامر: **تاريخ المغرب المعاصر**، مرجع سابق، ص 151.

المساجين السياسيين، وإلغاء أمر (1898) الذي يخول للمعمرين الاستحواذ على أراضي الأوقاف، ورغم تأثير الدعاية الالمانية والايطالية على شعور التونسيين، فقد التزم " المنصف باي " بالحياد إزاء الحلفاء والمحور ورفض أمر " فيشي" بمعاداة الحلفاء وأبلغ موقفه إلى الرئيس الامريكي "روزفلت" وإلى المستشار الألماني "هتلر"[1]طالبا تجنيب التونسيين آثار الحرب، وذلك بعد إنزال قوات الحلفاء على سواحل شمال إفريقيا، زيادة على وجود القوات الايطالية الألمانية، مما جعل تونس أكبر ساحات المواجهة في الحرب العالمية الثانية ومسرحا لعدة معارك طاحنة بين الحلفاء وقوات المحور، وفي الوقت الذي كانت فيه المعارك دائرة على الاراضي التونسية، فإن نشاط الحزب الدستوري الجديد لم يتوقف، ففي (30 نوفمبر 1942) أطلقت السلطة الفرنسية سراح الحبيب ثامر و" الطيب سليم " و" حسين التريكي " وإستقبلهم " المنصف باي " وفي نفس اليوم أعلن المقيم العام "إستيفيا" عن عفو سياسي عام لمسجوني " غار الملح " فزاد ذلك من شعبية "المنصف باي" وعاشت تونس في ذلك الوقت نشاطا سياسيا تم خلاله تأسيس عدة جمعيات ثقافية وخيرية .

في حين أن "الحبيب بورقيبة" وهو سجن" سان نيكولا بمرسيليا "، فإنه رفض التعاون مطلقا مع دول المحور، وفيما علم أن بعض الوطنيين أبدوا تعاطفا مع ألمانيا وجه رسالة من سجنه مع إبنه "الحبيب" إلى القادة الدستوريين وعلى رأسهم "الحبيب ثامر" من عدم الانسياق وراء الدعاية النازية طالبا منهم الاتصال فورا بأنصار الجنرال" ديغول".

[1] خليفة الشاطر و آخرون: مرجع سابق، ص 115.

وفي (16 ديسمبر 1942) أطلق سراح مساجين " سان نيكولا " بعد غزو المنطقة الحرة بمرسيليا[1] وسلموا إلى السلطات الايطالية التي نقتلهم الى روما في (09 جانفي 1943)، أما "الحبيب بورقيبة" فقد إستقر في " قصر فيورينيتي " حيث كان محل حفاوة فائقة من طرف السلطات الايطالية، ولكنه لم ينخدع إليها ووضع شرطا مسبقا للتفاهم مع روما ألا وهو إستقلال البلاد التونسية [2]، ومنه نستنتج أن " بورقيبة " كان متيقنا من إنتصار الحلفاء .

وفي (06 أبريل) ألقى " الحبيب بورقيبة "خطابا من "إذاعة باري" الايطالية أعلن فيه عن موقف تونس الحيادي[3] وبعد يومين من هذا الخطاب أي يوم (8 أبريل 1943) عاد" الحبيب بورقيبة " إلى تونس بعد أن قضى 5 سنوات في السجن[4] وبعودة هذا الأخير إلى تونس استأنف قادة الحزب الدستوري الجديد نضالهم وانتشرت خلاياهم في المدن والقرى والارياف وأنشأوا منظمة الشباب التونسي، وأمرهم " الحبيب بورقيبة " بتوزيع منشور على الشعب التونسي يدعو فيه إلى الوقوف إلى جانب الحلفاء. [5]

وفي (7 ماي 1943) دخلت جيوش الحلفاء إلى العاصمة تونس وهو نفس اليوم الذي إقتحم الجنود الإنجليز قصر " حمام الأنف " حيث يوجد "الباي" فألقوا عليه القبض وذهبوا به إلى تونس [6] في حين كان الفرنسيين يلحون إلحاحا شديدا

---

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 257.

[2] قدادرة شايب: مرجع سابق، ص 152.

[3] محمد بوذينة: **أحداث العالم في القرن العشرين (1940-1949)**، مرجع سابق، ص 112.

[4] الصافي سعيد: **بورقيبة سيرة شبه محرمة**، مصدر سابق، ص 119

[5] عز الدين معزة: مرجع نفسه، ص 189.

[6] احمد القصاب: مرجع سابق، ص ص 595-596 .

في المجلس العسكري على ثلاثة أمور عزل "المنصف باي" حالا ،وإلغاء نظام العائلة المالكة ،وإعلان تونس كالجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا[1]

وفي (13 ماي) زاره الجنرال " جوان" وطلب منه التوقيع على معاهدة التنازل على العرش فرفض ذلك، وعندئذ أمضى الجنرال " هنري جيرو" القائد الأعلى للقوات الفرنسية شمال إفريقيا أمرا يقضي بعزل الباي " محمد المنصف " ونفيه إلى الأغواط في الجنوب الجزائري وفي (06 جويلية) أرسل " المنصف باي " إلى الجنرال ماسط وثيقة التنازل عن العرش فتم نقله إلى الأغواط ثم " تنس " في شمال الجزائر ثم إلى " بو " جنوب " فرنسا " حيث توفي هناك (1 ديسمبر 1948) وفي اليوم الموالي نقلت جثته إلى تونس. [2]

وبعد أن خلعت السلطات " منصف باي " وعوضته بآخر وهو الأمين باي وشنت حملة واسعة ضد المتعاملين مع المحور [3]،أما قادة الحزب الدستوري الجديد فقد سعوا في الحين إلى رفع الإلتباس، وبعد المقابلة التي جرت بين "الحبيب بورقيبة" والجنرال "مورو" (9 جوان 1943) لم يبق للسلطات الفرنسية أي شك حول موقف الحزب الدستوري الجديد تجاه الحلفاء في الماضي والحاضر، ولم يواجه " الحبيب بورقيبة " أية صعوبة لإقناع ممثلي الحكومتين الإنجليزية والأمريكية بمساندته المطلقة لقضيته العادلة.[4]

---

[1] احمد التوفيق المدني: **حياة كفاح (مذكرات)**، ج 2، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص 502.

[2] أحمد القصاب: مرجع سابق، ص 697.

[3] محمد الهادي شريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التا ريخ الى الاستقلال**، مرجع سابق، ص 128.

[4] أحمد القصاب: مرجع نفسه، ص 597.

ومع ذلك قام الجيش الفرنسي في كل أنحاء القطر التونسي بحملة قمع جماعي فأصدرت أوامر ألقت القبض على الوطنيين، كل ذلك لإنزال الرعب في قلوب الشعب والقضاء على الحركة الوطنية التونسية ولكن الشعب أمام هذه الموجة من الاضطهاد صمد في مقاومته حتى أدى به الامر الى القيام بثورات مسلحة خاصة بناحية " دوز" وناحية "رأس الجبل "وبالرغم من هذا فقد انتظم الحزب في الخفاء بجميع تشكيلاته القديمة، عقد قادة الرأي في تونس مؤتمرا في شهر (فيفري 1954) واتفقوا على تقديم عريضة للحكومة الفرنسية تتضن المطالبة بالاستقلال الذاتي للبلاد لكن السلطات الفرنسية استمرت في اتباع سياسة الضغط و الاضطهاد ففرضت على "الحبيب بورقيبة" الاقامة الجبرية بتونس العاصمة، وكانت تهدف من وراء ذلك إلى منعه من نشر دعاية للحزب داخل تونس [1]، وإزاء هذه الحالة قرر الحزب الدستوري الجديد الخروج بالقضية الوطنية إلى المحيط الدولي ومن هنا جاءت فكرة سفر "بورقيبة "الى القاهرة سنة (1945)[2]

---

[1] قدارة شايب: مرجع سابق، ص 155.

[2] شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير من الفتح الاسلامي الى الوقت الحاضر**، مرجع سابق، ص 422.

المبحث الرابع: نشاط بورقيبة ما بين (1945-1954)

بعد تشديد الخناق على قادة الحركة الوطنية ، أدى هذا إلى الخروج بالقضية الوطنية إلى المستوى العربي والعالمي من أجل كسب التأييد والعطف من أجل الحصول على الحرية والاستقلال من الاستعمار، ومن هنا بدأ "بورقيبة" يخطط للسفر إلى القاهرة، والتي تأسس فيها قبل مغادرته بأربعة أيام الجامعة العربية، ففي (26 مارس 1945) بدأ "الحبيب بورقيبة " رحلة الى القاهرة حيث وصل الى مدينة " صفاقس " ثم أبحر الى ليبيا على ظهر مركب شراعي صغير ووصل الى الاراضي الليبية بعد ستة أيام تعرض فيها لأخطار كثيرة، ثم ركب الابل وهرب من مطاردة رجال الشرطة الفرنسيين الذين إكتشفوا أنه وصل الى حدود مصر عند قرية "الضبعة" وقد منعته السلطات المصرية من الدخول لولا ان أرسل خطابا إلى "عبد الرحمان عزام" أمين عام الجامعة العربية ونجح عزام في إستصدار الأوامر للسماح له بالدخول إلى مصر [1]والتي وصلها في (26 أبريل 1945)[2]، وكان هدف بورقيبة من السفر إلى القاهرة تحقيق هدفين أولهما جلب اهتمام المسؤولين والجماهير العربية للقضية التونسية، والهدف الثاني كان استعمال الشرق كقاعدة إنطلاق نحو البلدان الأجنبية التي يتعين استمالتها للقضية التونسية خاصة الولايات المتحدة الامريكية حيث يوجد مقر منظمة الأمم المتحدة. [3]

أما على المستوى الداخلي بعد هجرة "الحبيب بورقيبة" إلى القاهرة وفي هذه الأثناء ظهرت قوة صاعدة بالإضافة إلى الحزب الدستوري الجديد الذي بقي أهم

---

[1] شوقي عطا الله، عبد الرزاق ابراهيم: **تاريخ العام العربي الحديث و المعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي الى الوقت الحاضر**، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة، 2007، ص 275 .

[2]نمير طه ياسين: **تاريخ العربي الحديث و المعاصر**، دار الفكر، عمان، 2010، ص 201.

[3] احمد القصاب: مرجع سابق، ص 607.

تشكيلة بفضل ماله من فروع داخل البلاد، كان أيضا الحزب الدستوري القديم وكذلك الحزب الشيوعي وهنالك أيضا الشبيبة الزيتونية بقيادة "محمد الفاضل بن عاشور"[1]، الذي قاد مظاهرات (15 أبريل 1945) بعد وفاة الرئيس الأمريكي "روزفلت"، أما الحزب الدستوري الجديد الذي ترأسه "صالح بن يوسف" بعد غياب "الحبيب بورقيبة"، مع مجموعة من أعضاء الديوان السياسي منهم " المنجي سليم " والهادي نويرة " علي بهلوان " و" سليمان بن سليمان "[2] وليتولى" صالح بن يوسف" قيادة الحزب إستطاع إعادة تنظيم الحزب وربط خلاياه ببعضها البعض وأظهر مقدرة تنظيمية كبيرة، فدعا الحزب الدستوري الجديد في (22 اوت 1946) إلى عقد مؤتمر سمي بمؤتمر " ليلة القدر" الذي تم تحت رئاسة القاضي " العروسي الحداد " وقد حظر هذا المؤتمر الوطني كل القوى السياسية في البلاد بما فيها الأحزاب والنقابات [3]، والمتمثلة في الاتحاد العام للعمال التونسيون الذي يعتبر نفسه المنظمة الوحيدة التي لها أحقية تمثيل الطبقات الشعبية التونسية [4] وحظر المؤتمر كذلك مندوبين على جامع الزيتونة وقد كان لهذا المؤتمر صدى بعيد إذ وجد بين جميع الاتجاهات والمشارب السياسية وجعلها كتلة واحدة في مواجهة العدو الاستعماري وقد أعلن رئيس المؤتمر الحكم بالإعدام على النظام الاستعماري في تونس والمغرب العربي، وإتخذ المؤتمر قرار بالإجماع بالمطالبة بالاستقلال التام، فما كان من السلطات الاستعمارية إلا أن ردت على المؤتمرين حملة من الاعتقالات على

---

[1] محمد الهادي شريف: مرجع سابق، ص 130.

[2] عز الدين معزة : مرجع سابق، ص 227.

[3] الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 71.

[4] مصطفى كريم: **انضمام الاتحاد للعمال التونسيين الى الفدرالية النقابية العالمية**، المجلة التاريخية المغربية، ع،1المطبعة التونسية للشغل، تونس، 1974، ص 75 .

المؤتمرين [1]، بعد هذا القمع الذي لحق بقادة الحزب، اتضح أن النضال الداخلي التونسي بحاجة إلى مساندة خارجية والتي حمل عبأها "الحبيب بورقيبة" الذي كان متواجدا بالقاهرة للتعريف الرأي العام بالقضية التونسية، وبعد أن إستقر "بورقيبة" بالقاهرة أسس مكتبا للحزب الدستوري الجديد فيها [2] حتى يحقق التكامل بين المناضلين في الداخل و الخارج [3] وفي سنة (1946) إلتحق "الحبيب بورقيبة " في القاهرة " الحبيب ثامر " و" الطيب سليم" و" الرشيد إدريس" فقاموا جميعا بنشاط دعائي مكثف في العاصمة المصرية وسائر أقطار المشرق العربي ونشروا الفصول التوضيحية بالنشريات العديدة الصادرة عن لجنة تحرير المغرب العربي. [4]

وفي يوم (2 ديسمبر 1946) وصل "الحبيب بورقيبة" الى الولايات المتحدة الامريكية بهدف التعريف بقضية تونس في هيئة الامم المتحدة، وتدعم "بورقيبة" ببرقية وصلته وهو في الولايات المتحدة الأمريكية من "صالح بن يوسف " و" صالح فرحات " بإسم الحزب في أواخر ديسمبر (1946) يفوضانه التحدث بإسم تونس في المحافل الدولية، و كذلك منحه باي البلاد الشرعي "المنصف باي" من منفاه في " بو" من جنوب فرنسا تفويضا للتحدث باسمه، من هنا أصبح" بورقيبة" ناطقا رسميا وشرعيا للشعب التونسي حيث تمكن من تعريف الرأي العام الأمريكي بالقضية التونسية ولكنه لم يستطع إدراجها في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة ليعود بعدها "بورقيبة" إلى القاهرة بعد شهرين قضاها في الولايات المتحدة الأمريكية وبعودته إلى القاهرة تكون مكتب المغرب العربي الذي إنعقد بين (15 الى 22 فيفري

---

[1] الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 71.

[2] شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير**، مرجع سابق، ص 423.

[3] شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق ابراهيم: **تاريخ العام العربي الحديث و المعاصر**، مرجع سابق، ص 276.

[4] عز الدين معزة، مرجع سابق، ص 305.

1947) بالقاهرة، وترأسه بصفة رسمية الامين العام للجامعة العربية "عبد الرحمان عزام" الذي عرف بمعاداته للاستعمار وتشجيعه لحركات التحرر العربية، وكان المؤتمر يهدف الى ضرورة العمل والكفاح من أجل الاستقلال التام لبلدان شمال إفريقيا الثلاثة تونس، الجزائر والمغرب وبحث سبل التنسيق لتكوين جبهة مشتركة تعمل لصالح الحركات الوطنية المغاربية، خلال الجلسة الثانية للمؤتمر يوم (16 فيفري 1947) ناقش الزعماء المغاربة مشروع تكوين لجنة لتوحيد الجهود خاصة وأن واقع البلدان المغرب العربي أصبح بفرض ضرورة التكتل والعمل المشترك فقرروا انشاء مكتب المغرب العربي، وأسندت رئاسته إلى "محمد عبد الكريم الخطابي"* وأمانتها إلى " الحبيب بورقيبة. [1]

وقد درس مؤتمر القاهرة الوضع العربي والدولي فاتخذت قرارات في غاية الأهمية:

- أن تلتزم كل الاحزاب بميثاق عمل تحريري مشترك
- لا يجوز لأي حزب ولا أي حركة أن تنفرد بمفاوضة مع الاستعمار الفرنسي أو تبحث عن حل إنفرادي يقتضيها .

---

[1] رضا ميموني: **دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس و الجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال**، شهادة ماجستير: التاريخ الحديث و المعاصر: قسم العلوم الانسانية، باتنة: جامعة الحاج لخضر، 2012، ص ص 38-39.

*عبد الكريم الخطابي: زعيم مغربي نفي الى جزيرة لا رينون في المحيط الهندي منتصف 1926 و بقى فيها في سنة 1947 إذ أرادت الحكومة الفرنسية جلبه الى باريس للضغط على ملك المغرب محمد الخامس فإستطاع وبمساعدة العديد من القادة المغاربة و العرب الهروب من السفينة اللجوء و الاستقرار في مصر و كان له الفضل في تأسيس مكتب المغرب العربي، انظر محمد علي داهش: **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، مكتب الكتاب الاكاديمي ،عمان ،2012، ص 62.

كما قرر "عبد الكريم الخطابي "و"الحبيب ثامر" و" يوسف الرويسي" والحركة الوطنية الجزائرية قد قرروا خطة تتمثل في الآتي(1)

- جلب أكبر عدد ممكن من الطلبة من كافة أقطار المغرب العربي وإلحاقهم بالكليات العسكرية بالقاهرة ودمشق وبغداد
- تهيئة قيام ثورة مسلحة تبتدئ من حدود ليبيا إلى أغادير والصحراء المغربية
- توحيد المغرب العربي عن طريق الكفاح المسلح، وخلق الدولة الواحدة المستقلة المتحررة من الاستعمار كخطوة أولى نحو الوحدة العربية الشاملة
- جلب طلاب من المغرب العربي وتوزيعهم على المعاهد والكليات والجامعات لتكوين الإطارات لتعريب الإدارة والتعليم في المغرب العربي.[2]

وبعد إنشاء مكتب المغرب العربي قرر "بورقيبة "القيام بجولة أخرى في العالم العربي شملت سوريا ولبنان والسعودية واستطاع "بورقيبة" بهذه التحركات شرقا وغربا أن يُكسب للقضية أعوانا في كل الدول التي زارها، لكن القضية الفلسطينية كانت تشغل بال الساسة في كل أنحاء العالم ووجد أنه من غير المناسب طرح القضية التونسية في نفس الفترة، ولذا فإنه قرر الاتصال مباشرة مع المسؤولين الفرنسيين في القاهرة، وأدت هذه السياسة الجديدة[3] .

إلى أن ساءت العلاقات بين لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة وبين "الحبيب بورقيبة "نتيجة لاتصالاته من وراء اللجنة، وعمله الدائب على استثمار أعمال اللجنة لإبراز ذاته وشخصه بوجه خاص، مما زاد الخلافات بينه وبين " الحبيب ثامر" من

---

(1) طاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 72.

(2) عز الدين معزة: مرجع سابق، ص ص 305-306.

(3) شوقي عطا الله الجمل: عبد الرزاق ابراهيم: **تاريخ العم العربي الحديث و المعاصر**، مرجع سابق، ص 277.

جهة و" عبد الكريم الخطابي " من جهة ثانية ولما عرفوا باتصالاته بالسفارة الفرنسية ففصلوه من الأمانة العامة للجنة تحرير المغرب العربي وعينوا مكانه " علال الفاسي " رئيس حزب الاستقلال المغربي.

وأصبح "عبد الكريم الخطابي" يتهم "بورقيبة" علنا بالإنحراف والتواطؤ مع الفرنسيين ضد حركة التحرر المغربية، وكذلك وقع خلاف بينه و بين " الحبيب ثامر " الى درجة أن قال عنه الحبيب ثامر: « أخشى على تونس من الاستعمار الفرنسي وإستعمار بورقيبة بعد الاستقلال. » [1] وبالإضافة إلى الخلافات التي كانت بينه وبين أعضاء لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، كانت هناك خلافات أخرى مع "صالح بن يوسف" رئيس الحزب الدستوري الجديد بعد سفر "بورقيبة "إلى القاهرة و"المنجي سليم " وسبب هذا الخلاف أن "بورقيبة" كانت تأتيه رسائل من داخل تونس تخبره بان " صالح بن يوسف " و" المنجي سليم" يعملان جاهدين على إقصائه من رئاسة الحزب، خاصة أن بن يوسف قد نضم الحزب تنظيما عصريا وكون له فروعا في أنحاء البلاد، وعمل على تنظيم نقابات الفلاحين تحت اسم الاتحاد العام للفلاحة بتونس، ونقابات للتجار والحرفيين وسمي بالاتحاد العام للصناعة والتجارة لكي يتمكن من حزب الدستوري الجديد من الاتصال بالشعب عن طريقها وهي المسموح لها بالعمل من طرف السلطات الاستعمارية، وكانت هناك عناصر حزبية من أنصار "الحبيب بورقيبة منهم " الهادي نويرة " و" محمود شرشور" و" الشاذلي قلالة " و"علال العويتي" على دعم "الحبيب بورقيبة" في القاهرة فما كان من " المنجي سليم " إلى أن أقصى "الشاذلي قلالة" و"محمود شرشور" من المجلس المركزي للحزب، وقد أثبت الأحداث فيما بعد أن لا المنجي سليم" ولا" صالح بن يوسف" كان يفكرا في

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 308.

إقصاء " بورقيبة " في رئاسة الحزب، لأن الظرف الذي تمر به تونس والحركة الوطنية لا تسمح بحدوث تصدع داخل الحزب الدستوري الجديد. [1]

وإثر فشل جامعة الدول العربية وهزيمة الدول العربية (ماي 1948) في حربها ضد إسرائيل، عاد "الحبيب بورقيبة" إلى تونس (8 ديسمبر 1949)[2](أنظر الملحق رقم 08)، ليتابع بشكل أساسي مسألة الدعوة إلى الاستقلال، [3] و قد قام "بورقيبة" بعد عودته من القاهرة إلى تونس بجولات في أنحاء البلاد شرح فيها ما حققه لصالح القضية التونسية أثناء إقامته في المشرق العربي، كما شرح الخطة التي يرى أنه من الواجب إتباعها لتحقيق الاهداف الوطنية، وركز على سياسة المراحل القائمة على التفاوض مع فرنسا و أخذ ما يمكن أخذه والمطالبة بالباقي أي (خُذ- طالب) ففي (12 أبريل 1950) سافر بورقيبة إلى فرنسا وصرح لجريدة " ليموند" الفرنسية بأن مطالب التونسيين تتلخص فيما يلي :

- تقوية السلطة التنفيذية التي هي عنوان السيادة القومية
- تكوين حكومة تونسية صرفة مسؤولة عن الأمن العام يرأسها وزير أكبر يتولى رئاسة مجلس الوزراء بصورة فعلية
- إلغاء خطة الكاتب العام للحكومة
- إلغاء خطة المراقبين المدنيين
- إلغاء الجندرمة الفرنسية
- إنشاء جمعية وطنية منتخبة بالاقتراع العام مهمتها تحرير دستور ديموقراطي النزعة

---

[1] الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص ص 74-75 .

[2]خليفة الشاطر و آخرون: **الحركة الوطنية و دولة الاستقلال**، مرجع سابق، ص 123 .

[3] عاطف عيد: **قصة و تاريخ الحضارات العربية تونس الجزائر**، مرجع سابق، ص 74 .

- إحداث بلديات منتخبة تمثل فيها المصالح الفرنسية حيث توجد أقليات من الفرنسيين.

وقد أبدى باي تونس "محمد الامين" تضامنه مع هذه المطالب العادلة للشعب التونسي، كما تعاطفت الصحف الفرنسية المعتدلة مع هذه المطالب.

كما تعاطفت أيضا بعض الجهات الرسمية معها و طلبت فرنسا من "جان مونس" المقيم العام الفرنسي بتونس دراسة هذه المطالب وإبداء رأيه فيها، لكن وتحت ضغط المستوطنين الفرنسيين الذين أزعجهم هذا التعاطف من الصحف الفرنسية ومن الحكومة على مطالب المواطنين، اضطرت الحكومة الفرنسية سحب " جان مونس" وتعيين "بيريلليه" بدلا منه[1]

وفي (17 أوت 1950) تشكلت حكومة تونسية جديدة برئاسة " محمد شنيق" وأقر مجلسها مشاركة الحزب الدستوري الجديد الممثل في شخص "صالح بن يوسف" الذي أسندت له وزارة العدل، وقد كلفت التشكيلة الجديدة بالمفاوضة حول الطرق الكفيلة بالسير بتونس على مراحل متوالية نحو الإستقلال الداخلي [2]، لكن الإصلاحات (8 فيفري 1951) التي جاءت بعد مفاوضات جرت بتونس قد خيبت آمال الوطنيين التونسيين وفي أواخر شهر (اكتوبر 1951) استؤنفت المفاوضات الفرنسية من جديد في باريس وقد طالب الوفد التونسي المفاوض برئاسة " محمد شنيق " منح البلاد التونسية الاستقلال الداخلي حالا فرد وزير خارجية فرنسا " روبار شومان " بمذكرة مؤرخة في (15 ديسمبر 1951) أكد فيها بالخصوص ان العلاقات بين تونس وفرنسا ينبغي ان ترتكز على مبدأ السيادة المزدوجة فاستخلص" الحبيب

(1) شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير**، مرجع سابق، ص ص 426-427.

(2) عز الدين معزة: مرجع سابق، ص ص 312-313.

بورقيبة" من هذه المذكرة عدم جدوى الحوار المباشر بين تونس وفرنسا حيث قال:« إن جواب السيد شومان سيفتح عهدا من القمع والمقاومة، مع ما يتبع ذلك حتما من دموع وأحزان وأحقاد ». (1)

لتندلع المعركة الحاسمة يوم (18 جانفي 1952) اثر شكوى التي قدمتها الحكومة التونسية إلى منظمة الامم المتحدة ضد الحكومة الفرنسية قرر المقيم الجديد "دي هو تكلوك " منع مؤتمر الحزب الدستوري الجديد الذي كان مقررا عقده في ذلك اليوم، كما أمر في نفس اليوم إلقاء القبض على "الحبيب بورقيبة " وإبعاده الى مدينة " طبرقة " مع " المنجي سليم " وما إن إنتشر خبر إيقاف "بورقيبة "حتى أعلن الاتحاد العام التونسي للشغل الاضراب العام، انتظمت المظاهرات الشعبية في كامل البلاد التونسية، وقد تصدت لها الشرطة معززة بالجيش لتشتيت المتظاهرين ورغم قرار المنع فقد عقد الحزب الدستوري الجديد بطريقة سرية يوم (18 جانفي 1952) برئاسة "الهادي شاكر" فوافق المؤتمر على لائحة تطالب بإلغاء معاهدة الحماية بالإعتراف بإستقلال تونس التام لتتواصل المقاومة والتي كانت في البداية في شكل مظاهرات وإضرابات، لتتحول فيما بعد إلى حرب عصابات ومقاومات مسلحة في الجبال فكان رد السلطة الاستعمارية متمثلا في تنظيم حركة إرهاب مضاد بواسطة منظمة إرهابية شبه رسمية تسمى اليد الحمراء وقد عمدت هذه المنظمة إلى اغتيال عدد كبير من القادة المناضلين الوطنيين في مقدمتهم النقابي "فرحات حشاد" الذي اغتيل يوم (5 ديسمبر 1952)، وكذلك "الهادي شاكر" الذي اغتيل يوم (13 سبتمبر 1953)، ومن ناحية أخرى أقدم المقيم العام على إقالة وزارة "محمد شنيق" وعوضها بوزارة صورية برئاسة العميل "صلاح الدين بكوش" كما أمر بإبعاد "الحبيب بورقيبة"

(1) خليفة الشاطر و آخرون: مرجع سابق، ص 124.

إلى جزيرة " جالطا" حيث بقى هناك لمدة سنتين، وأمام تصاعد المقاومة التونسية إضطرت الحكومة الفرنسية إلى إعفاء المقيم العام " دي هو تكلوك" ليخلفه "بيارفوازار" الذي إنتهج سياسة المهادنة والمراوغة، والذي أصدر أمر بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين .[1]

[1] قدادرة الشايب: مرجع سابق، ص ص، 172-175.

المبحث الخامس: بورقيبة والمفاوضات التونسية الفرنسية

أمام تصاعد المقاومة في تونس وعجز الجيش الفرنسي في القضاء على الكفاح المسلح، وكذلك هزيمة فرنسا في الهند الصينية في معركة " ديان بيان فو" (1954)، لجأت فرنسا إلى المفاوضات مع تونس ففي (18 جوان 1954) دعا اليساري الفرنسي " بيار منداس فرانس" وهو مثقف يهودي ينتمي إلى الطبقة البورجوازية الفرنسية إلى رئاسة الحكومة الفرنسية لإنقاذ فرنسا من إفلاسها الاستعماري في آسيا وإفريقيا، ثم سارعت حكومة " منداس فرانس " بعد إنتهائها من مفاوضات جنيف مع الفيتناميين إلى الاتصال بزعماء الحركة الوطنية التونسية وتم الاتصال بين "الحبيب بورقيبة" و" منداس فرانس" سرا لإطلاعه على المبادرة الفرنسية وهو في قصر " لافيرتي" بفرنسا " وقد علق "بورقيبة" عن هذا اللقاء بقوله:« ان الإستقلال يظل الطموح الاكبر للشعب التونسي، وتشكل مقترحات فرانس مرحلة حاسمة »، ويدخل موقفه هذا في إطار إستراتيجية تمكن في قبول الحلول المرحلية للتوصل الى الاستقلال التام [1] و في (31 جويلية 1954) قدِم "منداس فرانس" الى تونس في زيارة مفاجئة أعدت في كنف السرية مرفوقا بالماريشال" جوان" و"كريستيان فوشي" والمقيم العام الجديد " بوبي دولار تور" وتوجهوا كلهم إلى قصر قرطاج حيث أعلن رئيس الحكومة الفرنسية " منداس فرانس" وبحضور الباي عن الاستقلال الداخلي لتونس [2]

واستجاب "الحبيب بورقيبة" من منفاه إلى هذا الخطاب وصرح يوم (01 أوت) قائلا :« إن الاستقلال هو الهدف الأسمى للشعب التونسي ولكن السير نحو هذا

---

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 334.

[2] خليفة الشاطر و آخرون: مرجع سابق، ص 169.

الهدف لن يكتسي بعد اليوم صفة الصراع بين الشعب التونسي والفرنسي » أما "صالح بن يوسف" فقد صرح قائلا : « أن الاستقلال الداخلي خطوة أولى في طريق الاستقلال التام، إن الاستقلال الداخلي مرحلة انتقالية نحو تحقيق الاستقلال التام الذي كان و سيظل دائما هدف حزبنا »، واجتمع الديوان السياسي للدستور الجديد في جنيف يوم (3 أوت 1954) برئاسة أمينه " صالح بن يوسف " وقرر مشاركة الحزب في وزارة التفاوض [1] و قد تكونت حكومة برئاسة " الطاهر بن عمار " وقد وافق الحزب الدستوري الجديد على هذه الحكومة كما وافقت عليها فرنسا التي تعد "الطاهر بن عمار" معتدلا [2]

فبدأت المفاوضات وفي أولى المحادثات اشترطت تصفية جيش التحرير التونسي وتسليم رجاله أسلحتهم كشرط لبدء المفاوضات، فوافق "بورقيبة" على الشرط مما أدى إلى ظهور خلاف حقيقي بين هذا الأخير وبين "صالح بن يوسف "* الذي كان يشرف على هذه الوحدات، واعترض على نزع السلاح قبل المفاوضة وأمام هذا التعارض بين وجهتي الزعيمين اضطرت فرنسا من الناحية العملية إلى عدم الإصرار على هذا الشرط و بدأت المفاوضات ووضعت الإقامة العامة شروطا جديدة لإنهاء القتال في تونس [3] وأصدرت بلاغا مشتركا مع الحكومة التونسية في (نوفمبر

---

[1] خليفة الشاطر و آخرون: مرجع سابق، ص 169.

[2] محمود شاكر: **التاريخ المعاصر ببلاد المغرب**، مرجع سابق، ص 166.

[3] جلال يحي: **العالم العربي الحديث و المعاصر**، ج3، المكتب الجامعي، الاسكندرية، 2003، ص 220.

*صالح بن يوسف: ولد صالح بن يوسف 11 اكتوبر 1907 بجزيرة جربة من أسرة ثرية، تلقى مبادئ القراءة و الكتابة في كتاب بمسقط رأسه و لما بلغ الثامنة من عمره أرسله جده للدراسة في تونس العاصمة ثم سافر الى باريس و حصل على شهادة البكالوريا في الحقوق و العلوم الانسانية من جامعة السوربون (1933) عاد الى =تونس سنة (1934) اشتغل بالمحاماة و تولى وزارة العدل في حكومة محمد شنيق(1956-1952) قاد المقاومة المسلحة في تونس (1952-1954)، أغتيل صالح بن يوسف يوم (11 اوت 1961) في فرانكفورت بالمانيا، انظر صافي سعيد : مصدر سابق، ص 190.

1954) يضمن سلامة التونسيين بعد تسليم أسلحتهم، ووافق "بورقيبة "على ذلك، ليزيد الخلاف بينه و بين " صالح بن يوسف " [1] وبعد سقوط حكومة "منداس فرانس"، واصل " إدغارفور" مهمة التفاوض، والتي استؤنفت يوم (15 مارس 1955) وتقابل رئيس الحكومة الفرنسية " إدغار فور" "بالحبيب بورقيبة" في باريس يوم (22 أبريل 1955) وفي (01 جوان) رجع " الحبيب بورقيبة " إلى تونس قادما من مرسيليا،(أنظر الملحق رقم 09)،بعد أن أصبح يعرف أن إتفاقيات الحكم الذاتي ستوقع بعد يومين فقط، ليتم التوقيع الاتفاقية الفرنسية التونسية يوم (3 جوان 1955) تحصلت تونس من خلالها على استقلالها الداخلي [2] ونصت هذه الاتفاقية على نقل أهم السلطات باستثناء الامن الخارجي والتمثيل الدبلوماسي[3] ليتوسع الانشقاق بين" صالح بن يوسف" و"الحبيب بورقيبة" بسبب قبول هذا الأخير مسودة إتفاق الإستقلال الداخلي، كذلك إستياء الكثير من رموز الحركة الوطنية ورفضهم لهذا الإستقلال الشكلي وطالبوا بالاستقلال التام [4]

ليعود بعدها " صالح بن يوسف " بعد ثلاثة أشهر من عودة "الحبيب بورقيبة " وهو المنافس الوحيد " للحبيب بورقيبة " الذي كان يتمتع بشعبية هامة و بعلاقات خارجية جيدة مع القاهرة قادة الثورة الجزائرية ومع أوروبا[5] وجاب " صالح بن يوسف" تونس داعيا إلى رفض اتفاقية الاستقلال الذاتي حتى تحصل دول المغرب العربي

---

(1) جلال يحي: مرجع سابق، ص 221.

(2) رأفت غنيمي الشيخ: **التاريخ المعاصر للامة العربية الاسلامية**، دار الثقافة، القاهرة، 1992، ص 102.

(3)أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، مرجع سابق، ص 653.

(4) عبد الله مقلاتي: **العلاقات الجزائرية المغاربية ابان الثورة التحريرية الجزائرية(1954-1962)**، رسالة دكتوراه: التاريخ الحديث و المعاصر: قسم التاريخ والآثار، قسنطينة: جامعة الجزائر منتوري، 2008، ص 132.

(5) الصافي سعيد: **بورقيبة سيرة شبه محرمة**، مصدر سابق، ص 191.

الثلاث على إستقلالها وكذلك عارض "علال الفاسي" رئيس حزب الإستقلال المغربي الاتفاقية وإعتبرها أعظم خيانة وقعت في شمال إفريقيا.[1]

أصبح "صالح بن يوسف" زعيما للحركة المعارضة للاتفاقيات عام (1955)، تلقى الدعم القوى من جانب قيادات الحزب الدستوري ذات الاتجاه القومي المعروف، خاصة "يوسف الرويسي"، كما وقف ممثل الحزب الدستوري الجديد في القاهرة " ابراهيم طوبال " الى جانب " صالح بن يوسف "، حيث اصبح الممثل الرسمي للحزب الدستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي .

وكانت لجنة تحرير المغرب العربي قد عقدت اجتماعا بالقاهرة بتاريخ (14 أكتوبر 1955) وإتخذت فيه القرارات التالية:

- فصل الديوان السياسي للحزب ورئيسه " الحبيب بورقيبة" من عضوية اللجنة
- إعتبار أن السلطات التي للديوان السياسي قد إنتقلت إلى يد الأمين العام "صالح بن يوسف"، نظرا لأنه بقي محافظا على المبادئ الاستقلالية التي إنضم الحزب على أساسها إلى لجنة تحرير المغرب العربي .
- يبقى ممثل " صالح بن يوسف" " إبراهيم طوبال " هو الممثل الرسمي للحزب الدستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي إلى أن يتمكن جمهور الحزب في تونس من البت في مصبر الديوان السياسي الحالي وتعيين المسؤولين الجدد في سياسة الحزب و ذلك في جو بعيد عن الإرهاب الفرنسي وضغط الديوان السياسي الحالي [2]

---

[1] عز الدين معزة : مرجع سابق، ص 340 .

[2] توفيق المديني: **المعارضة التونسية نشأتها و تطورها** دراسات ومنشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق2011، ص ص 17-18.

ونتج عن معارضة "صالح بن يوسف "لإتفاقية الإستقلال الداخلي قيام معركة عنيفة بين " اليوسفيين و" البورقيين " وقد دفعت هذه الإنشقاقات والصراعات بالحزب الدستوري الجديد بأن يتشدد في مواقفه تجاه فرنسا حيث ساعدته الثورة الجزائرية كثيرا في تشدده الذي أرغم فرنسا على تقديم تنازلات للتونسيين [1] وأمام خضوع الأمين العام لحزب الدستوري الجديد قرر الديوان السياسي طرده من الحزب في (8 أكتوبر 1955) لكن " صالح بن يوسف " لم يعترف بمشروعية القرار وواصل نشاطه تحت تسمية " الأمانة العامة " وصرح قائلا :« يجب الرجوع إلى الكفاح من جديد لمقاومة الاتفاقية » و في (27 اكتوبر 1955) صرح من مدينة القيروان قائلا :« يجب على الشعب أن يرفض الاتفاقية »، بعد هذه التهديدات إضطر الحزب الدستوري الجديد عقد مؤتمر له بصفاقس في (15 و18 نوفمبر 1955).[2]

ولقد دعي"صالح بن يوسف" الى حضور المؤتمر لكنه لم يحضر، فقرر المؤتمر عزل" صالح بن يوسف" و جعله خارجا عن القانون، و بعد يومين من نهاية مؤتمر صفاقس، دعا اليوسفيون الى اجتماع عام في تونس العاصمة حضره أكثر من 20 ألف، أدخلوا الرعب في قلب "بورقيبة" والسلطات الفرنسية، وهو ينادون بمواصلة الكفاح المسلح وقتل الخونة المتعاونين مع الاستعمار، فانطلق كعادته في جولة داخلية بحثا عن مؤيدين لوجهة نظره وقد طالت تلك الجولة مناطق في الجنوب التونسي التي تعبر مركز ثقل اليوسفيين، إذ كان السلاح يتدفق من الجانبين إلى الجنوب، من الجزائر وكذلك من ليبيا، وفي إحدى القرى المنجمية "بالرديف" كاد أن

---

[1] محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال**، مرجع سابق، ص ص 137-138.

[2] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص ص 341-342.

يقتل "بورقيبة" بعد أن حوصر مقر إجتماعه، ولكن نجا بفضل تدخلات القوات الفرنسية التي كانت موجودة بالمنطقة بإعتبارها منطقة تقع بالقرب من الحدود الجزائرية، وبعد نجاة بورقيبة من القتل عاد إلى تونس في حراسة "المحجوب بن علي" وقد قرر أن يضرب بقوة[1] ومنه نستنتج أن "بورقيبة" وجد الفرصة المناسبة للقضاء على خصومه خاصة " صالح بن يوسف"، ليتطور الخلاف بين اليوسفيين والبورقيين إلى إستعمال العنف والاغتيالات المتبادلة خاصة وأن اليوسفيين كَونوا منذ أواخر (1955) عصابات مسلحة يقودها " الطاهر الأسود " و"الهادي قدورة " وناصر الوصيف" و" عبد اللطيف زهير " كانت تنشط بالتعاون مع وحدات جيش التحرير الوطني الجزائري ضد رموز الإستعمار وخصومهم من البورقيين[2] وتواصلت المعارك بين الإخوة الفرقاء حتى صائفة (1956) سقط خلالها اكثر من 1000 قتيل من اليوسفيين، منهم عدد قليل من البورقيين بسبب تدخل الجيش الفرنسي ضد " صالح بن يوسف "، وهذا العدد من القتلى هو ضعف شهداء تونس خلال مرحلة الثورة المسلحة ضد فرنسا التي إستغرقت أقل من ثلاث سنوات وهو كذلك يفوت عدد شهداء تونس الذين استشهدوا من بداية الحملة الفرنسية (1881) إلى تاريخ بداية المفاوضات(1954) (3)، ونتيجة تصاعد القتال بين الطرفين قررت السلطة التونسية إلقاء القبض على "صالح بن يوسف " ولما علم بهذا القرار عن طريق أعوانه التحق بطرابلس ثم القاهرة [4]، وواصل كفاحه من هناك ليتوقف الصراع بينهما الذي كاد أن يؤدي إلى حرب أهلية في حين كانت المقاومة في المغرب قد اتخذت شكلا عنيفا إبتداءا من سنة (1952)، وأعيد السلطان المنفي محمد الخامس على العرش يوم

[1] الصافي سعيد: مصدر سابق، ص ص 200-201.

[2] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 342.

[3] الصافي سعيد: مصدر نفسه، ص 205.

[4] الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية**، مرجع سابق، ص 130.

(16نوفمبر 1955) وقد أمضى بباريس يوم (2 مارس 1956) الإتفاق الفرنسي المغربي الذي أعلن عن استقلال المغرب [1] وكذلك الكفاح الذي يخوضه الجزائريون لتحرير وطنهم، حيث ان الجيش الفرنسي لم يعد يستطع التغلب على المجاهدين الجزائريين، و خلال هذه المرحلة سقطت حكومة " إدغارفو " وجاءت حكومة الاشتراكي " غي مولي"، ادرك خلالها "بورقيبة" الذي لم يعدل أبدا عن الغاية السياسية لكفاحه ان الوقت قد حان لتحقيق تلك الغاية بالتفاوض وفي كنف الصداقة مع فرنسا[2] فسارع "بورقيبة" بالسفر إلى باريس للدخول في مفاوضات مع السلطات الفرنسية بهدف الحصول على الاستقلال كما حصلت عليه المغرب.[3]

فطلب رئيس الحكومة التونسية " طاهر بن عمار" يوم (10 فيفري 1956) من المندوب السامي الفرنسي " روجي سايدو " رغبة حكومته في فتح المفاوضات مع فرنسا ضد إستقلال تونس يوم (11 فيفري 1956) صرح "روجي سايدو" قبل امتطائه الطائرة متوجها إلى فرنسا قائلا : " أن فرنسا لا تقبل إلغاء إتفاقية (3 جوان 1955) حاول الحبيب بورقيبة إثر هذا التصريح أن يتصل برئيس الحكومة الفرنسي لكن هذا الأخير أعلمه بواسطة أعضاء حكومته بأن الحكومة الفرنسية تتفاوض مع "الطاهر بن عمار" وليس مع "الحبيب بورقيبة" ولذلك انعقد يوم (24 فيفري 1956) اجتماع وزاري تونسي مصغر برئاسة "الطاهر بن عمار" الذي أرسل رسالة إلى الحكومة الفرنسية، تضمنت طلبا رسميا لإلغاء معاهدة " باردو" (12 ماي 1881)، ومراجع إتفاقية (3 جوان 1955)، وكانت تونس في هذه الفترة تعاني من أزمات

---

[1] احمد القصاب: **تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)**، مرجع سابق، ص 667.

[2] احمد القصاب: مرجع نفسه، ص 668.

[3] فتحي الديب: **عبد الناصر وثورة الجزائر** ، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1990، ص 179.

عديدة[1] اقتصادية واجتماعية بسبب تعرضها للجفاف مدة أربع سنوات متتالية نتج عنه إنتشار الجراد وحدوث مجاعة في البلاد خاصة في الوسط والجنوب يضاف الى ذلك المشكل الأمني المتمثل في الصراع المسلح بين اليوسفيين والبورقيين واشتداد الثورة الجزائرية، فخضع الجانب الفرنسي.

وتم إمضاء برتوكول الإستقلال (أنظر الملحق رقم09) يوم (20 مارس 1956)[2] مع احتفاظ فرنسا بقاعدة " بنزرت البحرية " [3]وأصبحت تونس دولة مستقلة ذات سيادة[4] ليتم بعد ذلك قبول تونس عضوا في الأمم المتحدة، وأخذت تونس تمارس سيادتها فعلا، وتألفت حكومة وطنية برئاسة "الحبيب بورقيبة"، رئيس الحزب الدستوري الجديد، و جرت انتخابات نيابية وأنشأ جيش وطني [5] ، ولهذا تكون تونس قد دخلت مرحلة جديدة بعد كفاح مرير وطويل، والتي ساهم "الحبيب بورقيبة" فيه كثيرا في وصول إلى الاستقلال التام، مواصلا عملية بناء والتشييد من أجل بناء دولة وطنية تونسية عصرية

---

[1] عز الدين معزة: مرجع سابق، ص 344.

[2]زهدي عبد المجيد سمور: **تاريخ العرب المعاصر**، المملكة المتحدة للتسويق، القاهرة، 2009، ص 226

[3] ياغي اسماعيل، و محمود شاكر: **تاريخ العام الاسلامي الحديث و المعاصر**، ج2، دار المريخ، الرياض ،1993، ص94

[4] حسن جوهر: **تاريخ تونس**، دار المعارف، مصر، 1961، ص 56.

[5]حسن الحسن: **الانظمة الدستورية في لبنان وسائر البلدان العربية**، ط3، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان، 1981، ص 477 .

خلاصة الفصل

بعد الانشقاق داخل الحزب الدستوري التونسي، وظهور الحزب الدستوري التونسي الجديد، استطاع هذا الأخير من بداية ظهوره أن يقود شرائح كبيرة من المجتمع التونسي إلى السير وراءه ودعم أفكاره، وهذا بفضل توجيهات الحبيب بورقيبة، الذي يتميز مساره السياسي باللين مع فرنسا واللجوء إليها، كلما اشتدت عليه ضغوط المستوطنين وسلطة الحماية، وبالرغم أن نشاط الحبيب بورقيبة كان قصير وهذا بسبب قضاء معظم السنوات في المنفى والسجن إلا انه كان يناضل من داخل السجون من خلال إرسال بعض الرسائل إلى القادة الوطنيين، ونجح إلى حد بعيد أن يوجه الناشطيين السياسيين والشعب والأخذ بأفكاره وآراءه ، واستطاع بورقيبة أن يؤسس له جبهة شعبية عريضة، رغم أنّ هناك عناصر كانت لا توافقه الطرح ووقفت في وجه خاصة خلال مرحلة المفاوضات، لكن بورقيبة استطاع القضاء على خصومه السياسيين، إما بالقتل والإبعاد على غرار صالح بن يوسف الذي كان الخصم الأصعب لما له هذا الأخير شعبية على المستوى الشعبين إلا أنه وفي الأخير نستطيع أن نقول أن بورقيبة قد ساهم بشكل كبير في إيصال تونس للمفاوضات ومنه أخذ تونس استقلالها التام في 20 مارس 1956.

خاتمة

خاتمة

وكخلاصة القول نستنتج أن الشعب التونسي إستطاع أن يقف منذ البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي لأرضه، هذا الأخير الذي حاول طمس هويته الوطنية التونسية من خلال مجموعة من المخططات الاستعمارية، لكن الشعب التونسي وقف في وجه تلك الممارسات عن طريق الكفاح المسلح إلا أن هذا الأخير لم يدم طويل نتيجة لأسباب عديدة أدت إلى فشله .

- ظهور النشاط السياسي في تونس مبكرا وهذا بفضل نخبة وطنية والتي بدأ نشاطها في شكل حركات وجمعيات لتتطور بعد الحرب العالمية الأولى إلى أحزاب سياسية والمتمثل في الحزب الحر الدستوري بزعامة "عبد العزيز الثعالبي" والذي أصبحت مطالبه أكثر وضوحا، إلا أن الممارسات الاستعمارية حالت دون بلوغ مطالبه مما أدى إلى سكون الحزب لفترة بسبب نفي زعيمه عبد العزيز الثعالبي.

- عودة النشاط السياسي في الثلاثينيات حيث عاد الحزب الحر الدستوري من جديد والذي اشتمل على مختلف التيارات من زيتونيين المتشبعين بالثقافة الإسلامية العربية بالإضافة إلى المتشبعين بالثقافة الغربية، إلا أن هذا الالتآم لم يدم طويلا حيث انشق الحزب إلى تيارين مختلفين سنة (1934) التيار الأول الحزب الحر الدستوري بزعامة الثعالبي والتيار الثاني الحزب الدستوري التونسي الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة هذا الأخير التي ساهمت المدرسة الفرنسية في تكوينه والتي تركت أثرا كبيرا في نضاله في الحركة الوطنية التونسية، و خاصة الحزب الدستوري التونسي الجديد و الذي استطاع أن يجعل له قاعدة شعبية التفت حوله وأصبح هو القائد لهذا الحزب بعد أن أزاح بعض المناضلين الذين خالفوه في الرأي بدايات تأسيس والذي كان إتجاهه في البداية اتجاها إستقلاليا إلا أنه تعرض للنفي و السجن من طرف السلطات الاستعمارية.

-أما نشاط بورقيبة في الأربعينيات أثناء الحرب العالمية الثانية والذي أخذ الحبيب بورقيبة وجهة أخرى بعد إطلاق سراحه، وتغيرت سياسته إتجاه فرنسا ما يعرف بسياسة المراحل أو-خذ وطالب- حيث اعتمد"بورقيبة" في تلك الفترة على التعريف بالقضية التونسية في الخارج خاصة بعد اللجوء إلى القاهرة والذي عمل فيها على التعريف بالقضية التونسية للمجتمع العربي خاصة في المشرق والمجتمع الدولي في حين كان على المستوى الداخلي كان " صالح بن يوسف " يعمل على إعادة تنظيم الحزب الدستوري التونسي الجديد بعد حله من طرف السلطات الاستعمارية من نفي قادته و سجنهم، حتى أصبح الحزب أكثر قوة وأكثر فاعلية من الأول

- أما فترة الخمسينات وبعد عودة الحبيب بورقيبة من القاهرة بعد أن نجح إلى حد ما بتعريف بالقضية التونسية ليجد الظروف مهيئة داخل الحزب الدستوري الجديد بفضل "صالح بن يوسف" هذا الأخير الذي كان اتجاه ثوري مؤيد لأفكار جمال عبد الناصر الداعم لحركات التحرر في الوطن العربي عكس الحبيب بورقيبة الذي تميز بنشاطه اللين مع فرنسا وكان رافض لأفكار صالح بن يوسف، الذي دعا إلى الكفاح المسلح والرافض للاستقلال الذاتي، هذه النقاط أدت إلى وقوع نزاع كبير بين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة كادت أن تؤدي إلى حرب أهلية ، إلا أن الغلبة والسيطرة كانت للحبيب بورقيبة ذي كانت تدعمه فرنسا فإستطاع أن يزيح خصمه صالح بن يوسف، لتبقى الساحة للحبيب بورقيبة الذي زادت شعبيته أكثر وأصبح في نظرهم المجاهد الأكبر ومخلص تونس من الاستعمار الفرنسي والذي تم في (20 مارس 1956).

ملاحق

ملحق رقم 01: معاهدة باردو[1]

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس – لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات وداديهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عيّن العماد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سموّ الباي المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إنّ معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتّم على دولة الجمهورية الفرنسية اتّخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفّق السلطتان الحربيّتان الفرنسية والتونسية–، وتقرّران معا بأن الإدارة المحليّة قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسيّة ومصالحها. **وفي مقابل ذلك** يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دوليّة من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على **موافقتها** مقدّما.

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسيّة من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن : تفرض غرامة حربيّة على القبائل العاصية بالحدود والسّواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتّفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي **تتعهّد** بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربيّة الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن.

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881

الإمضاء : محمد الصادق باي- العماد «بريبار»

[1] خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مرجع سابق، ص 22

ملحق رقم 02:اتفاقية المرسى[1]

«اتفاقية المرسى»

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجّهة إلى تحسين الأحوال الداخليّة بالمملكة التونسيّة وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة 1881، وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموّه توثيقا لعرى المودّة بين القطرين العامرين، اتّفق الطرفان على عقد اتّفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بيار بول كامبون وزيره المقيم بتونس الذي قدم أوراق اعتماده لعقد الاتّفاقيّة المحدّدة في البنود الآتية :

البند الأول : لّما كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهّل للحكومة الفرنسيّة إتمام حمايتها، تكفّل بإدخال الإصلاحات الإداريّة والعدليّة والماليّة التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها.

البند الثاني : تضمن الحكومة الفرنسية قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحّد البالغ 125 مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوز 17.550.000 فرنك، ولكنّها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهّد سمو الباي المعظم بأن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب المملكة التونسيّة دون إذن سابق من الحكومة الفرنسيّة.

البند الثالث : يخصّص لسموّ الباي المعظم من مداخيل المملكة. أوّلا: المبالغ اللاّزمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا، ثانيا : مخصّصات سموّ الباي وقدرها مليونان من الريالات التونسية (أي 1.200.000 فرنك) وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع : هذه الاتفاقيّة مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في 12 ماي سنة 1881 فيما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل، ولاتتغيّر بها الأنظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربيّة.

البند الخامس : تعرض هذه الاتفاقيّة على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن. إيذانا بصحّة ما تقدّم حرّرت هذه الاتفاقيّة وختمها الموقّعان بختميهما.

وكتب بالمرسى في 8 جوان 1883

الإمضاء : على باي /«بول كامبون»

[1] خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مرجع سابق، ص 23

ملحق رقم 03: أهم معارك المقاومة (1881-1882) [1]

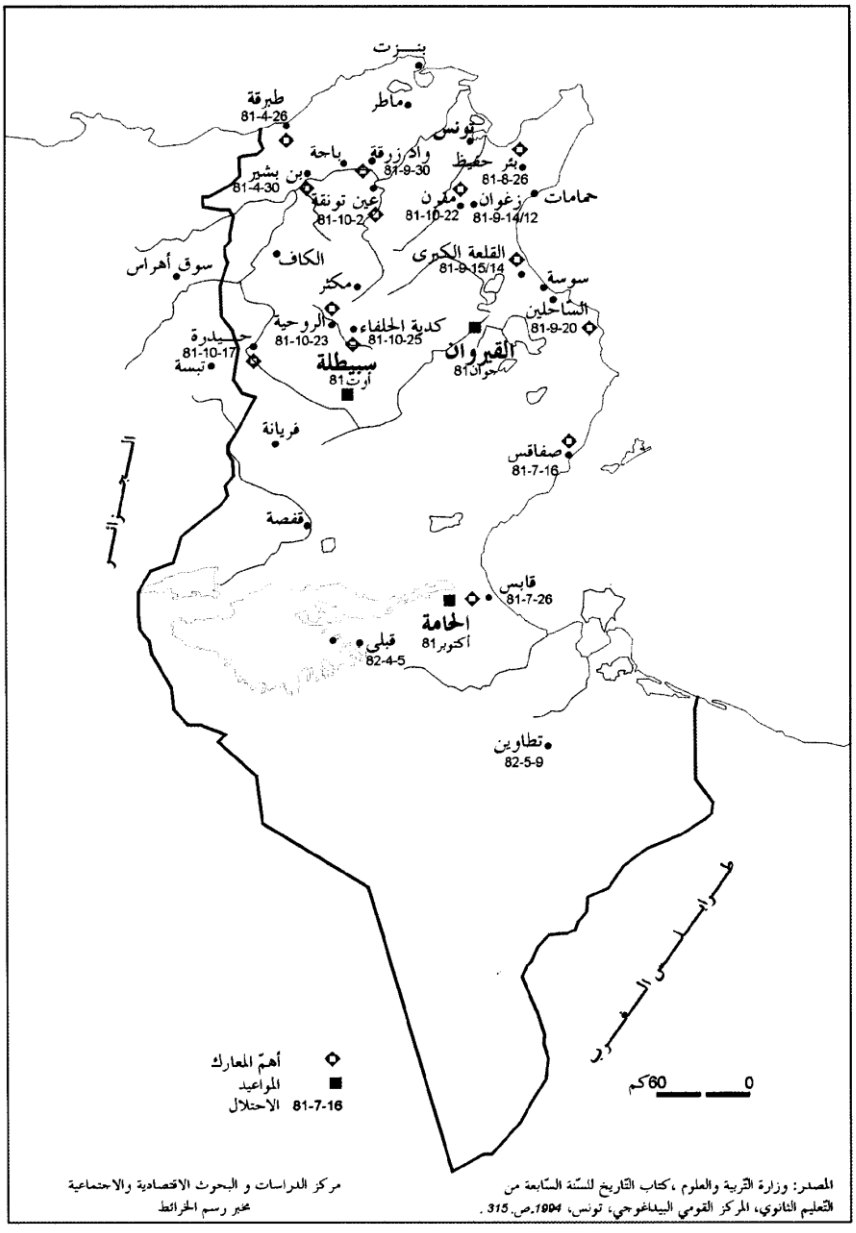

[1] خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مرجع سابق، ص 25

ملحق رقم 04: عبد العزيز الثعالبي رئيس الحزب الحر الدستوري[1]

[1] طاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية 1881-1956، مرجع سابق، ص134.

ملحق رقم 05: اجتماع النفوذ المشاركة في المؤتمر الأفخارستي وهي حاملة أزياء مثيرة للشعور الديني للتونسيين[1]

[1] خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مرجع سابق، ص 96

ملحق رقم 06: الزعيم الحبيب بورقيبة[1]

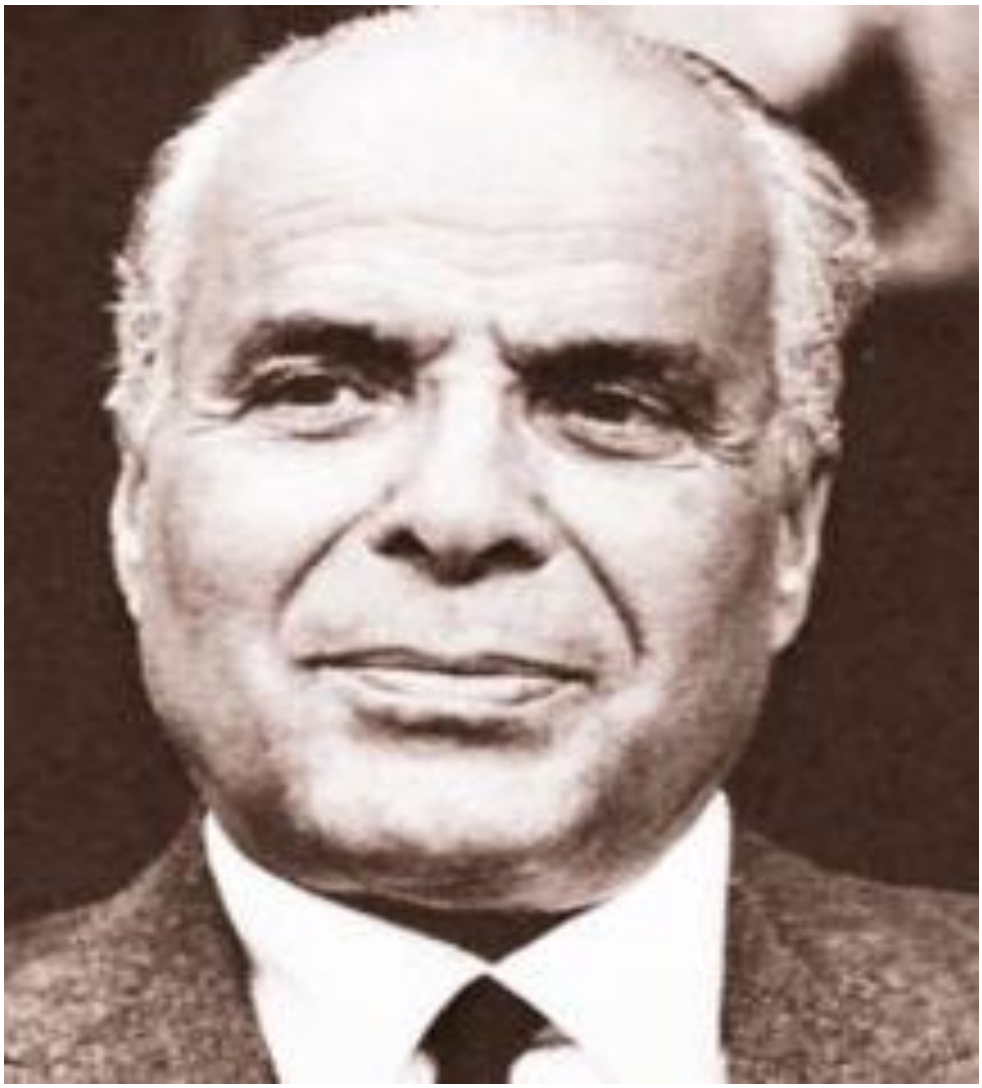

[1] أحمد نصير:الحبيب بورقيبة الديكتاتور الثائر ،جريدة الرأي، مرجع سابق

ملحق رقم 07: صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الذي اغتاله الحبيب بورقيبة سنة 1961.[1]

[1] خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مرجع سابق، ص 173

ملحق رقم 08: عودة الحبيب بورقيبة من القاهرة[1]

[1] خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مرجع سابق، ص 122

ملحق رقم 09: نص اتفاقية الاستقلال[1]

بروتوكول الاستقلال (1956)

في 3 جوان 1955 على إثر مفاوضات حرة حصلت بين وفديهما اتفقت الحكومة الفرنسية على الإعـــتراف لتونس بممارستها الكاملة للسيادة الداخلية فأبديتا على هذا النحو عزمها على تمكين الشعب التونسي من بلوغ ازدهاره الكامل وتولى الإشراف على مصيره على مراحل.

وتعـــترف الحكومـــتان بـــأن الـــتطور المنسجم والسلمي للعلاقات التونسية الفرنسية يتمشى مع مقتضـــيات العالم العصري ويلاحظان بابتهاج أن ذلك التطور يتيح البلوغ للسيادة الكاملة بدون آلام بالنسبة للشعب وبدون صدمات بالنسبة للدولة.

وتؤكد اقتناعهما بأنه بإقامة علاقتهما على أساس الإحترام المتبادل والكامل لسيادتيهما في نطاق استقلال الدولتين وتساويهما تدعم فرنسا وتونس التضامن الذي يربط بينهما لأجل خير البلدين.

وعلـــى إثـــر خطاب التولية الذي ألقاه رئيس الحكومة الفرنسية وجواب جلالة الملك المؤكدين لعـــزمهما المشـــترك علـــى التقدم بعلاقاتهما في نفس روح السلم والصداقة افتتحت الحكومتان مفاوضات بباريس يوم 27 فيفري وبناء عليه تعترف فرنسا علانية باستقلال تونس.

وينجم عن ذلك :

أ/ أن المعـــاهدة المـــبرمة بيـــن فرنسا وتونس يوم 12 ماي 1881 لا يمكن أن تبقى تتحكم في العلاقات الفرنسية التونسية ؛

ب/ أن أحكـــام اتفاقـــيات 3 جوان 1955 التي قد تكون متعارضة مع وضع تونس الجديد وهي دولة مستقلة ذات سيادة سيقع تعديلها أو إلغاؤها.

وينجم عن ذلك أيضا :

ج/ مباشـــرة تونس لمسؤولياتها في مادة الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وكذلك تكوين جيش وطنـــي تونسي في نطاق احترام سيادتيهما تتفق فرنسا وتونس على تحديد أو إكمال صيغ تكافل يكـــون محققـــا فـــي حـــرية بين البلدين بتنظيم تعاونهما في الميادين التي تكون مصالحها فيها مشتركة خاصة في مادة الدفاع والعلاقات الخارجية.

وستضـــع الإتفاقـــيات بين فرنسا وتونس صيغ المساعدة التي ستقدمها فرنسا لتونس في إنشاء الجيش الوطني التونسي.

وستســـتأنف المفاوضات يوم 16 أفريل 1956 قصد الوصول في أقصر الآجال الممكنة وطبقا للمبادئ المقررة في هذا البروتوكول لإبرام الوثائق الضرورية لوضعها موضع التنفيذ.

حرر بباريس في نسختين أصليتين يوم 20 مارس 1956
عن فرنسا : (أمضى) كريسيان بينو
عن تونس : (أمضى) الطاهر بن عمار

[1] محمود علي عامر، تاريخ المغرب المعاصر، مرجع سابق، ص 344.

قائمة المصادر والمراجع

1. المصادر:

1 –بلخوجة الطاهر: **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على العصر**، الدار الثقافية للنشر، مصر، 1999 .

2– الثعالبي عبد العزيز: **تونس الشهيدة**، ترونق : سامي الجندي ، دار القدس، لبنان، 1975 .

3 – الديب فتحي: **عبد الناصر و ثورة الجزائر**، دار المستقبل العربي، 1990 .

4– الصافي سعيد: **بورقيبة شبه محرمة**، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، 2000 .

5– المدني احمد توفيق: **حياة كفاح (مذكرات)**، ج1، ج2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 .

2. المراجع :

6– أبو خليل شوقي: **الإسلام وحركات التحرر العربية**، دار الرشيد ، مصر، 1976.

7– أبو زكريا يحي: **الحركة الاسلامية في تونس من الثعالبي إلى الغنوشي**، منشور إلكتروني.

8– بلغيث الشيباني : **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859 1882)**، تق، عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، كلية الأداب والعلوم الانسانية، تونس، 1995.

09- برقوق سالم: **الاستراتيجية الفرنسية في المغرب العربي**، طاجيكس للنشر، الجزائر، 2009 .

10 – التيمومي الهادي وآخرون: **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، بيت الحكمة، تونس، 2000 .

11 – الجمل شوقي عطاالله: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، **ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1977 .

12 – الجمل شوقي عطاالله : **المغرب العربي الكبير من الفتح الاسلامي إلى الوقت الحاضر**، **ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الاقصى (مراكش)**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2007 .

13 – الجمل شوقي عطا الله، ابراهيم عبد الرزاق: **تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي الى الوقت الحاضر**، المكتبة المصرية، مصر، 2007 .

14- جوليان شارل اندري: **إفريقيا تسير القوميات الاسلامية و السيادة الفرنسية**، تر: علي المنجلي واخرون، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976 .

15- جوليان شارل اندري: **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي**، تر : محمد مزالي والبشير بن سلامة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985 .

16- جوهر حسين محمد: **شعوب العالم تونس**، دار المعارف بمصر، مصر، 1961.

17- الحسن حسن: **الانظمة الدستورية في لبنان وسائر البلدان العربية**، ط 3، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1981 .

18- داهش محمد علي: **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، 2012.

19- دسوقي ناهد ابراهيم: **دراسات في تاريخ افريقيا الحديث المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008.

20- الذوادي زهير: **تطور الحركة الوطنية التونسية (1929-1939)**، دار التقدم للنشر و التوزيع، تونس، 1982.

21- الزمرلي الصادق: **أعلام تونسيون**، تق وتع حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1986.

22- زرزور عبد الحميد: **تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا وآسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

23- سمور زهدي عبد المجيد: **تاريخ العرب المعاصر**، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات، مصر، 2009.

24- السرجاني راغب: **قصة تونس من البداية الى ثورة 2011**، ط2، دار أقلام للنشر، مصر، 2011.

25- الشاطر خليفة و آخرون: **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال**، ج3، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، 2005.

26- الشريف محمد الهادي: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

27- الشيخ رأفت غنيمي: **التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1992.

28- شاكر محمود: **التاريخ الاسلامي المعاصر لبلاد المغرب**، المكتب الإسلامي، لبنان، 1996.

29- عبد الله الطاهر: **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1881-1956)**، ط2، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، 1975.

30- عامر محمود علي: **تاريخ المغرب المعاصر**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2006

31- العجيلي التليلي: **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)**، مجلد 2، منشورات كلية الآداب، تونس، 1992.

32-الفاعوري ابراهيم: **تاريخ الوطن العربي**، دار الحامد للنشر و التوزيع، االأردن، 2011.

33- القصاب أحمد: **تاريخ تونس المعاصر(1888-1956)**، تع حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1976.

34- المحجوبي علي: **إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تع عمر بن ضو و آخرون، سراس للنشر، تونس، 1986.

35- المحجوبي علي:**العالم العربي الحديث و المعاصر تخلف فإستعمار فمقاومة،** دار محمد علي، تونس، 2009.

36- محفوظ محمد: **تراجم المؤلفين التونسيين،** ج01، دار الغرب الاسلامي، 1982.

37- موسى فيصل محمد: **موجز تاريخ فريقيا الحديث المعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، ليبيا، 1997.

38- المديني توفيق: **المعارضة التونسية نشأتها و تطورها**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

39- ياسين نمير طه: **تاريخ العرب الحديث و المعاصر**، دار الفكر، الاردن، 2010.

40- ياغي اسماعيل احمد: **تاريخ العالم العربي المعاصر**، مكتبة العبيكان، السعودية، 2000.

41- ياغي اسماعيل احمد، محمود شاكر: **تاريخ العالم الاسلامي الحديث و المعاصر**، ج02، دار المريخ، للنشر، الرياض، 1993.

42- يحي جلال: **العالم العربي الحيث و المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية،** ج1، المكتب الجامعي، مصر، 2003.

43- يحي جلال : **العالم العربي الحديث و المعاصر الفترة الواقعة بين الحربين،** ج2، المكتب الجامعي، الاسكندرية، 2003.

44- يحي جلال: **تاريخ المغرب الكبير الفترة المعاصرة و حركات التحرير والاستقلال**، ج3، الدار القومية للطباعة و النشر، الاسكندرية، 2000

3-مقالات الدوريات العلمية:

45- كريم مصطفى : **إنضمام الإتحاد العام للعمال التونسيين الى الفدرالية الثقافية العالمية**، المجلة التاريخية المغربية، عدد 1، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1974.

46- كريم مصطفى : **قضية الحقوق النقابية بتونس (1881-1952)**، المجلة التاريخية المغربية، عدد 3، مطبعة الاتحاد العام للشغل التونسي، تونس، 1975.

4 . رسائل الأطروحات الجامعية:

47- خمري الجمعي: **حركة الشباب الجزائريين و التونسيين (1900-1930)**، دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، اطروحة دكتوراه: قسم التاريخ: جامعة منتوري، قسنطينة،2002.

48- رضا ميموني: **دور الحركة الوطنية المغاربية في حركة تحرير تونس و الجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال**، رسالة ماجستير: قسم التاريخ: جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012.

49- قدادرة شايب: **الحزب الدستوري الجديد و حزب الشعب الجزائري (1943-1954)**، دراسة مقارنة تاريخية و فكرية، أطروحة دكتوراه: قسم التاريخ: جامعة منتوري قسنطينة، 2008.

50- معزة عز الدين: **فرحات عباس و الحبيب بورقيبة (1899-2000)**، دراسة مقارنة تاريخية و فكرية، اطروحة دكتوراه: قسم التاريخ: جامعة منتوري قسنطينة، 2010.

51- مناصرية يوسف: **الحزب الحر الدستوري التونسي (1919-1934)**، رسالة ماجستير: معهد التاريخ: جامعة الجزائر، الجزائر، 1986.

52- مقلاتي عبد الله: **العلاقات الجزائرية المغاربية ابان الثورة التحريرية الجزائرية(1954-1962)**: اطروحة دكتوراه: قسم التاريخ و الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

5- الموسوعات:

53- بوذينة محمد: **أحداث العالم في القرن العشرين (1900-1909)**، ج1، منشورات محمد بوذينة، تونس، د.ت

54- بوذينة محمد: **أحداث العالم في القرن العشرين(1940-1949)**، ج5، منشورات محمد بوذينة، تونس، د. ت

55- الزيدي مفيد: **موسوعة التاريخ العربي المعاصر و الحديث**، دار أسامة، الأردن، 2004.

56- عاطف عيد: **موسوعة قصة و تاريخ الحضارات العربية تونس و الجزائر**، إيديتو للنشر، بيروت، 1999.

56- الكيالي عبد الوهاب و آخرون: **موسوعة السياسة**، ج2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، د.ت

6- الجرائد:

57- بشير الطيب: **آخر أيام المجاهد الأكبر، جريدة الاتحاد**، ع 508، نشر يوم 2011/10/13 الزيارة يوم 2015/03/03، الرابط الإلكتروني: **www.alitibadse/details**

58- معالي عبد الجليل: **في عيد الإستقلال محاكمة التاريخ بوعي الحاضر، جريدة العرب**، ع9504، نشر يوم 2013/03/31 الزيارة يوم 2015/03/03 الرابط الالكتروني:

www.slarb.com

59- نصير أحمد : **الحبيب بورقيبة الثائر الديكتاتور، جريدة الرأي**، ع، 13028، نشر يوم 2009/09/19، الزيارة يوم 2015/07/03 الرابط الإلكتروني: **www.alraimedia.com**

7-البرامج التلفزيونية:

60- أحمد المستيري: **شاهد على العصر**، ج4، تقديم أحمد منصور ، قطر 2013/12/12.

61- أحمد المستيري: **شاهد على العصر**، ج5، تقديم أحمد منصور ، قطر 2013/12/19.

8- المراجع باللغة الأجنبية:

62-Rayomon André, jesmponcet:**Latunisie**pressesuniersitoures de France, Paris, 1971

63- Roddbalek: **La Tunisie aprés La guerre probléme politique**,1920-1921, pub lication de comité de l'afrique? Française, paris, 1922.